مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام



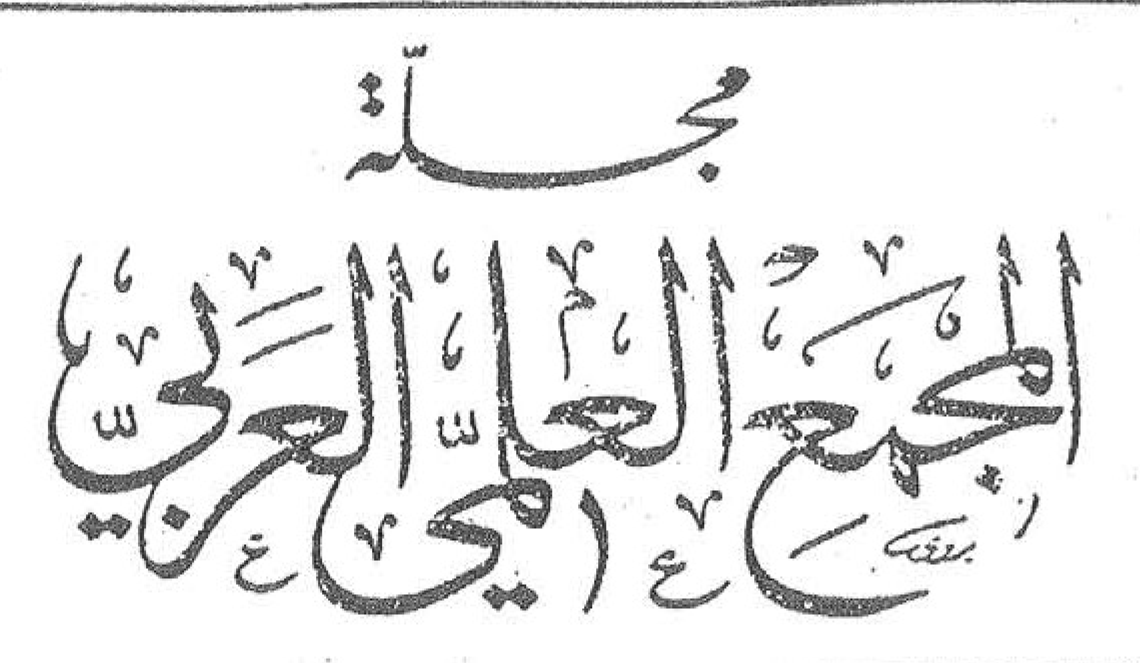
تأليف

طه الهاشمي

دمشق

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

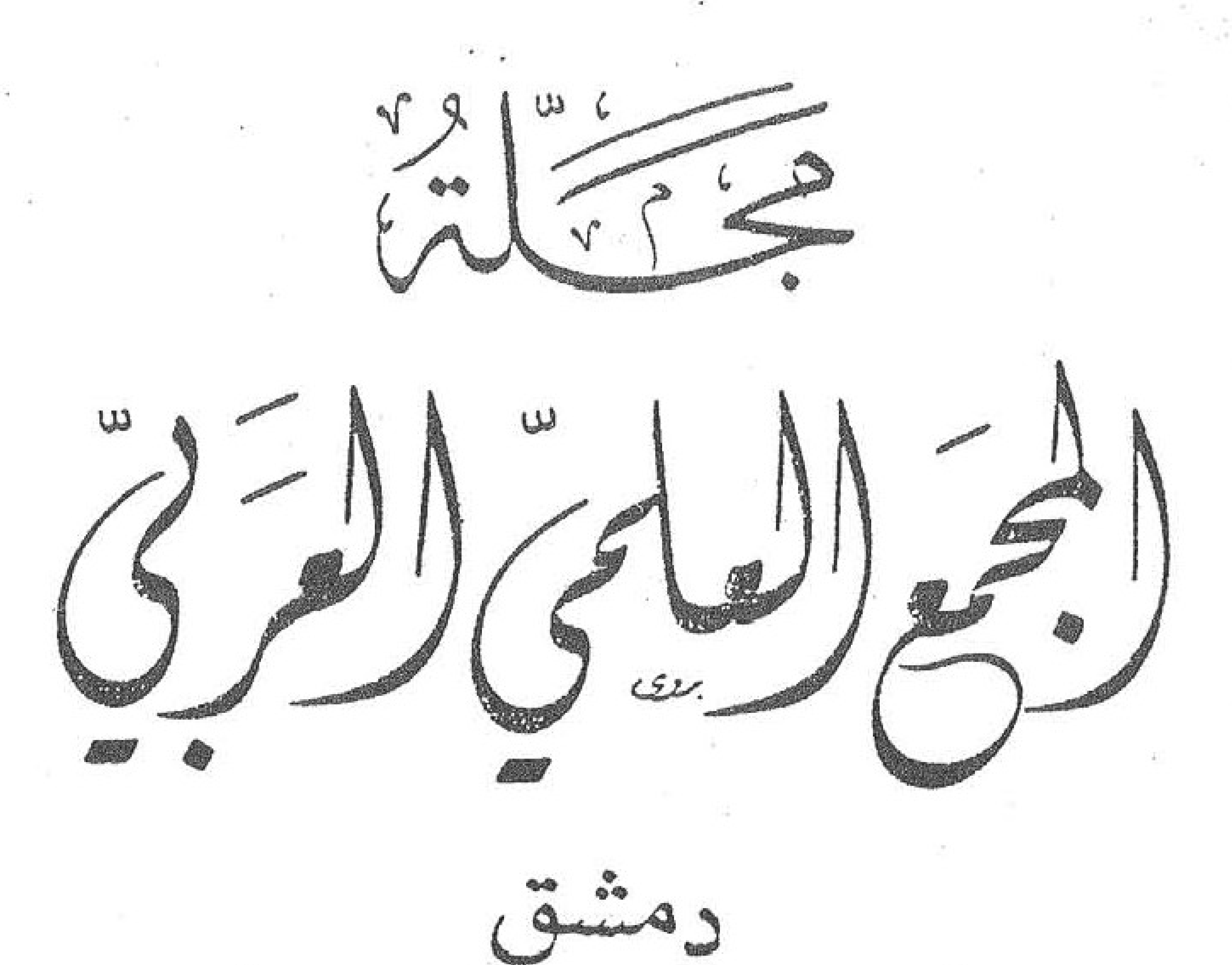
الجزء الرابع		المجلد السابع والعشرون



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٢		١٢ المحرم سنة ١٣٧٢

الجزء الأول

المجلد الثامن والعشرون



دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٣ م

١٥ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ١ -

تاريخ سفره – الطريق التي سار فيها :

من الموضوعات التي لم يتفق فيها مؤرخو الفتوح الطريق التي سار فيها خالد في سفره من العراق الى الشام ، وكذلك وقت سفره .

وفي رواية للمدائني [١] ان خالداً شخص في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، وأيد البلاذري هذه الرواية ولعله أخذها من المدائني على عادته . وما عدا هذه الرواية فلم يذكر الاخباريون القدماء ولا المؤرخون من بعدهم التاريخ الذي ترك فيه خالد العراق وذهب الى الشام ملبياً أمر الخليفة ابي بكر .

وكذلك اختلف المؤرخون في ذكر الحوادث التي سبقت سفر خالد وما وقع له في سفره . وقد خلطوا بعض فتوحات خالد في العراق قبل سفره بوقائع زعموا أنها وقعت في طريقه الى الشام ، كما ان بعضهم قدم تاريخ فتوحات خالد في الشام وزعم أنها جرت قبل فتح بُصرى . وعلى الرغم من كثرة الأخبار واسهاب الاخباريين في شرح الحوادث فان الباحث لا يظفر في بحثه بما يشفي غليله . ومن الروايات ما جعلت خالداً في سفرته تلك يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، فيسير غرباً ثم يغير اتجاهه فيسير شرقاً ، ثم يعود فيعرج الى الجنوبي الغربي . وفي بعض الروايات ان خالداً قطع البادية بطريق يبلغ ستمائة كيلو متر وأكثر ، ليس فيه مياه الا في محلات محدودة .

---

(١) الطبري ، الجزء (٢) ص (٦٠١) .

أما المفازة التي قيل ان خالداً فوّز منها فلم يثبت الرواة مبدأها ومنتهاها ، واكتفوا بالقول انها بين (قُراقر وسُوى) ؛ ولم يذكروا بالضبط أين يقع هذان المحلان • وكانت كتب البلدان ومعاجمها خالية من الايضاح واكتفت بالقول ان قراقر ماء للقبيلة الفلانية وسُوى ماء لقبيلة أخرى •

وقد حاول الباحثون من علماء المشرقيات ان يميطوا اللثام عن هذا الغموض ولكنهم لم يتوصلوا الى ما يطمئن اليه البال ، واكتفى بعضهم بنقل الروايات كما جاءت وترجيح بعضها على البعض الآخر ، فظل موقعا قراقر وسوى مجهولين لديهم الى ان ثبت الرحالة الشكوسلوفاكي (لويس موسيل) محلهما على الخريطة التي رسمها في رحلاته العديدة قبل الحرب العامة الأولى وفي أثنائها في شمالي جزيرة العرب • والغريب ان (كايتاني) المستشرق الايطالي صاحب الباع في تاريخ الاسلام جعل موقع سوى على الفرات وزعم ان المفازة التي أشار اليها المؤرخون الأقدمون واقعة بين الفرات ومدينة الرصافة في الجزيرة وذكر في بحثه المطول ان خالداً سلك طريق الفرات من الحيرة الى الرصافة ومنها توجه الى الشام بطريق تدمر •

وكذلك (دي خويه) المستعرب الهولندي وهو أحسن من كتب في فتح الشام ذكر في مذكرته عن فتوح الشام ان خالداً سلك طريق تدمر في سفرته الى الشام • وسيتضح لنا من ذكر الروايات المختلفة الباحثة في سفر خالد ومقارنتها وتنقيح ما ورد فيها من خلط للوقائع ، انه لا يعقل ان يختار خالد تلك الطريق الطويلة ويعرض نفسه للمسالح التي أقامها الروم للدفاع عن أملاكهم من غزوات العرب وكان أهلها من العرب المتنصرة يحمونها • ولا سيما ان بعض الروايات أكدت ان ابا بكر أرسل خالداً نجدةً لجند المسلمين في الشام وحثه على السير بسرعة •

ونذكر الآن الروايات الواردة في هذا الصدد وسنقدم الأقدم فالأقدم منها :

١ — رواية موسى بن عقبة [(١)] :

« كتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وكان قد فرغ من أمر اليمامة يأمره بالمسير الى الشام . فمضى على وجهه وسلك على عين التمر ، فمر بدومة الجندل ، فأغار عليها وسبى ابنة الجودري ثم مضى حتى قدم الشام » .

٢ — رواية ابن اسحق وقد ذكرها الطبري في حوادث سنة ثلاث عشرة هجرية [(٢)] :

« كتب ابو بكر الى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ..... ونزل في طريقه على عين التمر وفتحها ... » وقال : « ثم أراد خالد السير مفوزاً من قراقر وهو ماء لكلب الى سوى وهو ماء لبهراء ، بينهما خمس ليال ، فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً ، فدُل على رافع ابن عميرة الطائي ، فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغرراً ، انها لخمس ليال جياد ، لا يصاب فيها ماء مع مظلتها ، فقال له خالد : ويحك انه والله ان لي بد من ذلك ، انه قد أتتني من الأمير عزمه بذلك ... »

ثم شرح الطبري رواية بن اسحق ذاكراً كيف أشار رافع لخالد ان يستكثر من الماء وكيف طلب عشرين جزوراً [(٣)] عظاماً ، سماناً ، مساناً وكيف انه ظمأهن حتى اذا أجهدت عطشاً أوردهن ، ثم قطع مشافرهن وكعمهن [(٤)] ، فسار خالد على رأس قوته ، فكلما نزل منزلاً افتظ [(٥)] أربعاً من الجزور والنوق ، فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل الى ان وصلت القوة الى آخر المفازة في سوى ، فدلها رافع على الماء وذكر ما قاله شاعر المسلمين بهذه المناسبة :

(١) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٤١) .
(٢) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٨ : ٦١٠) .
(٣) الجزور : ما يُجزر من النوق .
(٤) كعم : شد فم البعير لئلا يأكل .
(٥) افتظ : شق بطن البعير وعصر ماء كرشه وشربه في المفاوز .

لله عينا رافع أنى اهتدت فوّز من قُراقر الى سُوَى

خمساً اذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك إنسيٌّ يُرَى

ثم ذكر اغارة خالد على أهل سوى وهم من بهراء ، ثم سار خالد على وجهه حتى أغار على بني غسان بمرج راهط ، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ....»

٣ — رواية سيف بن عمر [1] :

« فوافى خالداً كتابُ ابي بكر بالحيرة ، منصرفه من حجه أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك » . وبعد ماذكر سيف توافي جموع المسلمين باليرموك ونزولهم في (الواقوصة) قال :

« وأمر أبو بكر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فاذا فتح الله على المسلمين فارجع الى عملك بالعراق .. » ثم قال :

« ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً الى دومة الجندل ، ثم طعن في البر الى قراقر ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان أستقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ؛ فكلهم قال لا نعرف الا طريقاً ، لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ الراكب ، فاياك ان تُغرّر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه الى ذلك الاّ رافع بن عميرة على تهيب شديد .. »

ثم ذكر سيف قيام خالد بالمسلمين خطيباً وشحذه لهمتهم حتى وافقوه على المسير . وبعد ما ذكر رواية محمد بن اسحق عن انتقاء الابل الشرف وارواثها و كعمها ... قال : « ثم ركبوا من قراقر مفوزين الى سوى وهي على جانبها الآخر مما يلي الشام . فلما ساروا يوماً اقتضوا لكل نجدة من الخيل عشراً من تلك الابل ، فخرجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقوا الخيل وشربوا للشفة جرعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .. » .

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٢ : ٦٠٣) .

وذكر سيف بعد ذلك رواية مُحرز بن جَريش المحاربي اذ قال لخالد اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ثم أُمه تُفْضِ الى سوى ٠

ثم ذكر عثور المسلمين على الماء في سوى واغارة خالد من سوى على مضيخ بهراء ٠٠٠ وانهم لفارون وان رفقه لتشرب حتى وجه الصبح وساقيهم يغنيهم ويقول :

الا صبحاني قبل جيش ابي بكر

فضربت عنقه ، فاختلط دمه بخمره ٠٠ حتى قال : «ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتساخه وغارته على مضيخ بهراء وانتساخها فاجتمعوا بمرج راهط ٠ وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك صمد لهم ، فخرج من سوى فنزل الرمانتين ، علمين على الطريق ، ثم نزل الكثب ٠ حتى صار الى دمشق ثم مرج الصفر ، فلقي عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ؛ ثم خرج من المرج حتى ينزل بقناة بصرى ٠٠٠» ٠

٤ -- رواية ابي يوسف بن يعقوب (1) ٠

نقل ابو يوسف روايته من محمد بن اسحق وغيره من أهل العلم بالفتوح والسيرة وبعضهم يزيد في الحديث على بعض ٠ وبعد ان ذكر قدوم خالد من اليمامة وفتحه للعراق قال : «وكان خالد أراد أن يتخذ الحيرة داراً يقيم بها ، فأتاه كتاب أبي بكر يأمره بالمسير الى الشام مدداً لأبي عبيـدة ، فتوجه من الحيرة مع الأدلاء منها ومن عين التمر حتى قطع المفاوز ٠٠» ويشير بعد ذلك الى ان خالداً بعد قطعه المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى (النُقَيّب والكوائل) ، ثم مر بعانات حتى أتى الى قرقيسيا ٠ ثم قال : «وسبى خالد في مخرجه من الحيرة الى ان انتهى الى دمشق ألف رأس وقالوا خمسه آلاف ٠٠٠» ٠

(1) كتاب الخراج ص (١٦٩) وبعدها .

٥ — رواية الهيثم بن عدي كما ذكرها ابن قتيبة [١] :

قال ابن قتيبة : « حدثني أبي احسبه عن الهيثم بن عدي قال : لما كتب ابو بكر الى خالد يأمره بالمسير الى الشام والياً مكان ابي عبيدة ، أخذ على السماوة حتى انتهى الى قُراقر وبين قُراقر وسُوى خمس ليال في مفازة ، فلم يعرف الطريق ، فدُل على رافع بن عميرة الطائي وكان دليلاً خريتاً [٢] فقال لخالد خلف الأثقال واسلك هذه المفازة ان كنت فاعلاً ، فكره خالد أن يخلف أحداً وقال لا بد من أن نكون جميعاً » . ثم ذكر الهيثم رواية ابن اسحق وقال في آخر الرواية ان خالداً لما مر بموضع يقال له البِشْر طلع على قوم يشربون وبين أيديهم جفنة واحدهم يتغنى :

الا عللاني . . . . . .

ثم أقبل على أهل البشر فقتل منهم وأصاب .

٦ — رواية الواقدي كما ذكرها البلاذري [٣] :

« وقال الواقدي خرج خالد من سُوى الى الكواثل ، ثم أتى قرقيسيا ، فخرج اليه صاحبها في خلقٍ فتركه وأغار الى البر ومضى لوجهه ، وأتى (أرَك) فأغار على أهلها وحاصرهم ، ففتحها صلحاً . وأتى (دومة الجندل) ففتحها ، ثم أتى (قُصم) فصالحه بنو مشجعة ، ثم أتى (تدمر) فامتنع أهلها وتحصنوا ثم طلبوا الأمان . . . ثم أتى (القريتين) فقاتله أهلها فظفر وغنم ، ثم أتى (حُوّارين) من (سنير) فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى وهي مدينة حوران فظفر بهم ، فسبى وقتل ثم أتى (مرج راهط) فأغار على غسان في يوم فصحهم .. ووجه خالد بن بسر بن

(١) عيون الأخبار ، الجزء الأول ص (١٤٢) .
(٢) الخريت : الدليل الحاذق الذي يهتدي الى المفاوز .
(٣) فتوح البلدان ص (١١٩) .

ابي أرطأة العامري وحبيب بن مسلمة الفهري الى غوطة دمشق ؛ فأغار على قرى من قراها وصار خالد الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب ... » وبعد أن ذكر نزول خالد بالباب الشرقي من دمشق أو بباب الجابية وتقديم أُسقف دمشق له نزلاً وخدمةً قال ... « ثم سار خالد حتى انتهى الى المسلمين وهم بقناة بصرى .. »

٧ — رواية المدائني كما ذكرها الطبري [١] :

« فوجه ابو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء بالشام ، ضمهم اليه فشخص اليه خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في خمسمائة . واستخلف على عمله المثنى بن حارثة ، فلقيه عدد بصَنْدوداء ، فظفر بهم ... ولقي جمعاً (بالمُصَيَّخ والحُصَيْد) عليهم ربيعة بن بجير التغلبي فهزمهم وسبى وغنم وسار ففوز من قُراقر الى سُوى ، فأغار على أهل سُوى واكتسح أموالهم . وقتل حرقوص بن النعمان البهرائي ثم أتى أرك وأتى تدمر فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم الى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حُوّارين فقاتلهم ، فهزمهم وقتل وسبى . وأتى مُصَمّ فصالحه بنو مشجعة من قضاعة . وأتى مرج راهط فأغار على غسان في يوم فصحهم ... »

٨ — ما ذكره البلاذري [٢] :

ولعل الرواية رواية المدائني نفسها ، قال البلاذري :

« وقالوا : لما أتى خالدَ بن الوليد كتابُ أبي بكر وهو بالحيرة خلف المثنى ابن حارثة الشيباني على ناحية الكوفة . وسار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة ويقال في ستمائة ويقال في خمسمائة ، وأتى عين التمر ففتحها عنوةً . ويقال ان كتاب ابي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها فسار خالد

---

(١) الطبري . الجزء الثاني ص (٦٠١) .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص (١١٨) .

من عين التمر فأتى صَنْدوداء وبها قوم من كندة واياد والعجم فقاتله أهلها . وبلغ خالداً أن جمعاً لبني تغلب بن وائل بالمُصيخ والحُصيد مرتدون عليهم ربيعة بن بجير فأتاهم ، فقاتلوه ، فهزمهم ..... ثم أغار خالد على قُراقر وهو ماء لكلب ، ثم فوّز الى سُوى وهو ماء لكلب أيضاً وفيه قوم من بهراء . فقتل حرقوص بن النعمان البهرائي من قضاعة واكتسح أموالهم ...» ثم ذكر كيف عمد خالد الى الرواحل فأرواها قبل ركوبه المفازة وكيف قطع مشافرها لئلا تجتر ، فتعطش ثم لتستكثر من الماء . وحمله معه وجعل ينحر تلك الرواحل راحلة راحلة ويشرب وأصحابه الماء من أكراشها .... الى أن قال وكان المسلمون لما انتهوا الى سُوى وجدوا حرقوصاً وجماعة يشربون ويتغنون وحرقوص يقول : ألا عللاني .....

فلما قتله المسلمون جعل دمه يسيل في الجفنة التي كان فيها شرابه .. وقال بعض الرواة ان المعني بهذا البيت رجل ممن كان أغار عليه من بني تغلب مع ربيعة بن بجير .. »

٩ — ما ذكره اليعقوبي [١] :

قال اليعقوبي « ثم كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ان يسير الى الشام ويخلف المثنى بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد من أهل القوة ممن كان معه وتخلف المثنى بن حارثة مع بقيـة الجيش بالعراق . وسار خالد الى الشام فلما صار الى عين التمر لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن ابي هلال النمري ، فتحصنوا ثم نزلوا على حكمه ، ثم سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران .... وصار الى الأنبار ، فأخذ دليلاً يدله على طريق المفازة ، فمر بتدمر فتحصن أهلها ، فأحاط بهم ففتحوا له وصالحهم . ثم مضى الى حوران (حوارين) فقاتلهم قتالاً شديداً .

(١) تاريخ اليعقوبي ص (١١٢) .

فقيل ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام حتى وافى المسلمين فافتتحوا بصرى واجنادين » . ثم قال : « وروى بعضهم ان خالد بن الوليد صار الى غوطة دمشق ، ثم فرعنها الى ثنية ومعه راية بيضاء تدعى العقاب ، فبها سميت ثنية العقاب وصار الى حوران فقصد مدينة بصرى » .

١٠ — ما ذكره ابن عساكر في تاريخه من الروايات [١] :

آ — رواية مصعب بن عبد الله : « لما سار خالد يريد دومة الجندل أخذ المفاوز واستأجر رافعاً واشترى خمسين شارفاً [٢] فكبتها وأوجرها وسقاها عللاً ونهلاً ، فكلما نزل منزلاً نحر وجعل أكراشها على النار وشرب القوم منها حتى اذا شارفوا رمد رافع ..... الى آخر الرواية » .

ب — رواية اسحق بن فدوة : « ان خالداً ومن معه هبطوا ثنية الغوطة التي بقرب عذرا وهي مشهورة » .

ج — رواية ابن اسحق : « وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد فسار الى الشام ، فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل على قناة بصرى » . وفي رواية أخرى لابن اسحق : « خرج خالد من العراق حتى نزل عين التمر وأغار على أهلها ثم سار على نحو ما تقدم في رواية ابن اسحق التي أثبتناها قبلاً ... الى ان يشير في آخر الرواية انه لما نفذت الابل التي سقاها خالد وربط أفواهها خاف العطش فقال لرافع وهو أرمد ويحك ماعندك ، قال أدركت الري ، هل ترى علمين كأنهما توأمان . وذكر بعد ذلك كيف وجدوا الماء في سوى ثم قال : « واستقام بخالد الطريق وتواصلت به المياه حتى اذا أغار على مرج العذراء وبه أناس من غسان .. »

د — رواية اللالطائي : قال « كتب ابو بكر لخالد أن ينصرف من العراق بثلاثة آلاف الى الشام ، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج الى (ضمير)

---

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٢٠) .
(٢) شرفت الناقة أي صارت مسنة .

فوجد المسلمين معسكرين بالجابية وتسامع الأعراب في مملكة الروم ففزعوا له »
ويقول ابن عساكر هذه رواية اللالطائي والبيهقي . وأضاف ابن عساكر قائلاً [١] :
« وكتب ابو بكر الى خالد أما بعد فدع العراق وخلف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه ، ثم امض مخففاً في أهل قوة من أصحابنا الذين قدموا من اليمامة وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين . وإن التقيتم فأنت أمير الجماعة » .

١١ — ما ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل [٢] :

« لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد يأمره بالمسير اليهم والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى ابن حارثة . . . . . الى ان قال : وقيل ان خالداً سار من العراق في ثمانمائة وقيل في خمسمائة وقيل في تسعة آلاف وقيل في خمسة آلاف ، ثم ذكر وقعة المُصيخ وقتاله فيه لجماعة من تغلب ، ثم أشار الى تفويز خالد من قراقر الى سوى كما رواها الطبري نقلاً عن سيف بن عمر وجعل مسير خالد بعد سوى على إرك وتدمر والقريتين وحُوارين وقصم وثنية العقاب ، الى ان ذكر اغارة خالد على غسان في يوم فصحهم في مرج راهط ووصوله الى بصرى وقال في الأخير ان خالداً طلع على المسلمين في ربيع الآخر .

١٢ — ما ذكره الذهبي في كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام [٣] :

وبعدما أورد الذهبي ما ذكره الطبري في تاريخه ذهاب خالد من العراق الى الحج متكتماً ومعاتبة أبي بكر له حينما علم ذلك ومعاقبته له بصرفه الى الشام ويأمره بنجدة المسلمين في اليرموك قال : « وقلت انما جاء الكتاب بأن يسير

(١) ابن عساكر الجزء الأول ص (١٣٨) .
(٢) تاريخ ابن الأثير ، الجزء الثاني ص (١٥٦) وما بعدها .
(٣) الذهبي ، الجزء الأول ص (٣٧٥) .

الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة ٠٠٠٠٠ ثم قال : « فسار خالد الى الشام فأغار على غسان بمرج راهط ، ثم سار فنزل في قناة بصرى وقدم أبو عبيدة وصاحباه ، فصالحوا أهل بصرى فكانت أول ما فتح من مدائن الشام وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر » .

لم يشر الذهبي الى تفويز خالد من قُراقر الى سُوى انما ذكر ان خالداً سار الى مكة ومعه جماعة تعتسف البلاد ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل فسار طريقاً من طرق الحيرة لم ير قط أعجب منه ولا أصعب ٠٠ » . يتضح من ذلك ان الذهبي خلط خبر تفويز خالد برحلته الى مكة حاجاً .

١٣ — ما ذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية [1] :

« وبعث الصحابة الى الصديق يستمدونه بعد نزولهم في الواقوصة ، قريباً من اليرموك ، فكتب الصديق الى خالد ان يستنيب على العراق وان يقفل بمن معه الى الشام ، فاذا وصل اليهم فهو الأمير عليهم ، فاستناب المثنى بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة ودليله رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السماوة حتى الى قُراقر وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد ٠٠٠٠ » ٠٠٠ الى ان قال : « ووصل في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وإرك ، ولما مروا بعذراء أباحها وغنم لغسان أموالاً عظيمة وخرج من شرقي دمشق ثم سار حتى وصل الى قناة بصرى » .

١٤ — ما ذكره ابن خلدون في تاريخه المبتدأ والخبر [2] :

وبعد ان ذكر ابن خلدون خروج خالد من العراق حاجاً متكتماً وذهابه متعسفاً في البلاد وعودته الى الحيرة بعد الحج وعلم ابي بكر بحجة خالد ومعاقبتـه له أن صرفه من غزو العراق الى الشام ذكر في صفحة ٨٤ :

(١) ابن كثير ، الجزء السابع ص (٧) .
(٢) ابن خلدون ، الجزء الثاني ، ص (٧٨) وما بعدها .

«ولما استمد المسلمون أبا بكر بعث اليهم خالد بن الوليد من العراق واستحثه في السير اليهم ، فنفذ خالد ذلك ووافى المسلمين مكانهم عندما وافى ماهان والروم أيضاً» .

١٥ – وأخيراً نذكر ما أورده الواقدي المزعوم في كتابه فتوح الشام وهو كتاب متأخر استند مؤلفه الى بعض روايات الواقدي واقتبس روايات أخرى وأضاف اليها من مخيلته وقائع مثيرة للحماسة ومستفزة للحمية ، فأخرج كتاباً حماسياً يقوي النفوس ويشحذ العزائم . وعلى الرغم من أن كتابه هذا لا يعتبر من الكتب التاريخية الوثيقة ، لكنه يتضمن بعض المعلومات الصحيحة ، لهذا لا بد لمن يدرس أخبار الفتوح من الرجوع الى هذا الكتاب .

قال الواقدي المزعوم[1] :

«وتوجه خالد بعد استلامه كتاب ابي بكر ، فلما وصل السماوة قال أيها الناس ، ان هذه الأرض لا تدخلونها الا بالماء الكثير ......» ثم ذكر خبر رافع بن عميرة وارواء الابل وشق بطونها وضرب رافع على راحلته يميناً وشمالاً يبحث عن الماء وعثوره عليه ...» وأخيراً قال : «انهم فتحوا السخنة وإركه رأس الامانة لمن يخرج من العرب والروم تمسك بها القوافل وكان عليها بطريق .... ثم ارتحل الى حورار ...» .

أوردنا فيما سبق كل الروايات لتيسرة التي عرضت لسفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام .. ويظهر منها ان الروايات جميعها ، باستثناء رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ السفر . وهناك روايات تؤكد ان ابا بكر كتب الى خالد بعد عودته من الحج الى العراق يأمره بالمسير الى الشام ، وقال الذهبي انما جاء كتاب ابي بكر الى خالد بأن يسير الى الشام في أوائل سنة ثلاث عشرة . وتكاد الروايات تجمع على أن أمر أبي بكر وافى خالداً بالحيرة .

(١) فتوح الشام ، للواقدي ، ص (١٤ : ١٥) .

وقد اختلفت الروايات في الطريق التي سلكها خالد . فموسى بن عقبة وابن اسحق وسيف بن عمر والهيثم بن عدي يرون أن خالداً سار على طريق (عين التمر — قُراقر — سُوى مرج راهط) . وأشار موسى بن عقبة وسيف بن عمر الى أن خالداً مرّ في طريقه بدومة الجندل ، أما الهيثم بن عدي فذكر أن خالداً سار من السماوة الى قُراقر . وذكر مصعب بن عبد الله دومة الجندل والمفاوز فقط وقد أيد البلاذري هذه الروايات . أما ابو يوسف والواقدي والمدائني واليعقوبي وابن كثير وابن الأثير فذكروا طريقاً آخر . ومن الروايات ما جعلت خالداً يغزو في طريقه بعض الجموع من أهل البادية من تغلب وكلب وبهراء وغيرهم في أماكن متباعدة ، اعترضت طريقه أو انها كانت في جهة بعيدة عن الطريق . ومن الروايات ما جعلت خالداً يقضي كثيراً من الوقت في محاصرة المسالح والهجوم على المواقع المحصنة . ومنها ما جعلت خالداً يسير على طريق ملتوٍ يشرق تارةً ويغرب تارةً أخرى ، ويتوجه الى الشمال حيناً وينزل الى الجنوب حيناً آخر ، والذي يتفحص هذه الروايات بامعان يبدو له أن أولئك الرواة أخطأوا في سلسلة الوقائع وقدموا تاريخ بعض الحوادث وأخروا تاريخ البعض الآخر ، فأدخلوا بعض فتوحات خالد التي جرت بعد سنة ثلاث عشرة في ديار الشام في ضمن الحوادث التي وقعت في سفره من العراق الى الشام ؛ كما أنهم أدخلوا بعض فتوحات خالد في العراق التي وقعت قبل سفره في حوادث رحلته الى الشام . لذلك ارتبك عليهم الأمر وجعلوا خالداً يسلك طرقاً بعيدة المنال .

وقبل أن نستقصي أخبار هذه الروايات ونقارن بينها وتجريدها مما غشيها من أخبار وقعت قبل سفر خالد وبعده يجدر بنا أن نتثبت من ثلاثة أمور لأن الاستناد اليها يسهل لنا الوصول الى الحقيقة .

الأمر الأول : أرسل أبو بكر خالداً الى الشام مدداً وغوثاً للمسلمين

لاستمدادهم له . وتكاد الروايات جميعها تؤيد هذا ولا عبرة لما ورد في بعض الروايات أن أبا بكر صرف خالداً من حرب العراق معاقبةً له .

الأمر الثاني : ان ابا بكر استحث خالداً في السير الى المسلمين ، ذكر ذلك سيف بن عمر ، كما رواه الطبري [1] والرواية كما يلي :

« ولما نزل المسلمون اليرموك واستمدوا أبا بكر قال : خالد لها ، فبعث اليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه في السير ، فنفذ خالد لذلك ، فطلع عليهم خالد وطلع باهان على الروم » .

وذكر ذلك أيضاً المؤرخون المتأخرون ابن عساكر وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون .

الأمر الثالث : أغار خالد على الغسانيين بمرج راهط في يوم فصحهم . روى ذلك الواقدي والمدائني وأيده ابن الأثير .

(يتبع) طه الهاشمي

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٥٩١) .

سفر خالد بن الوليد

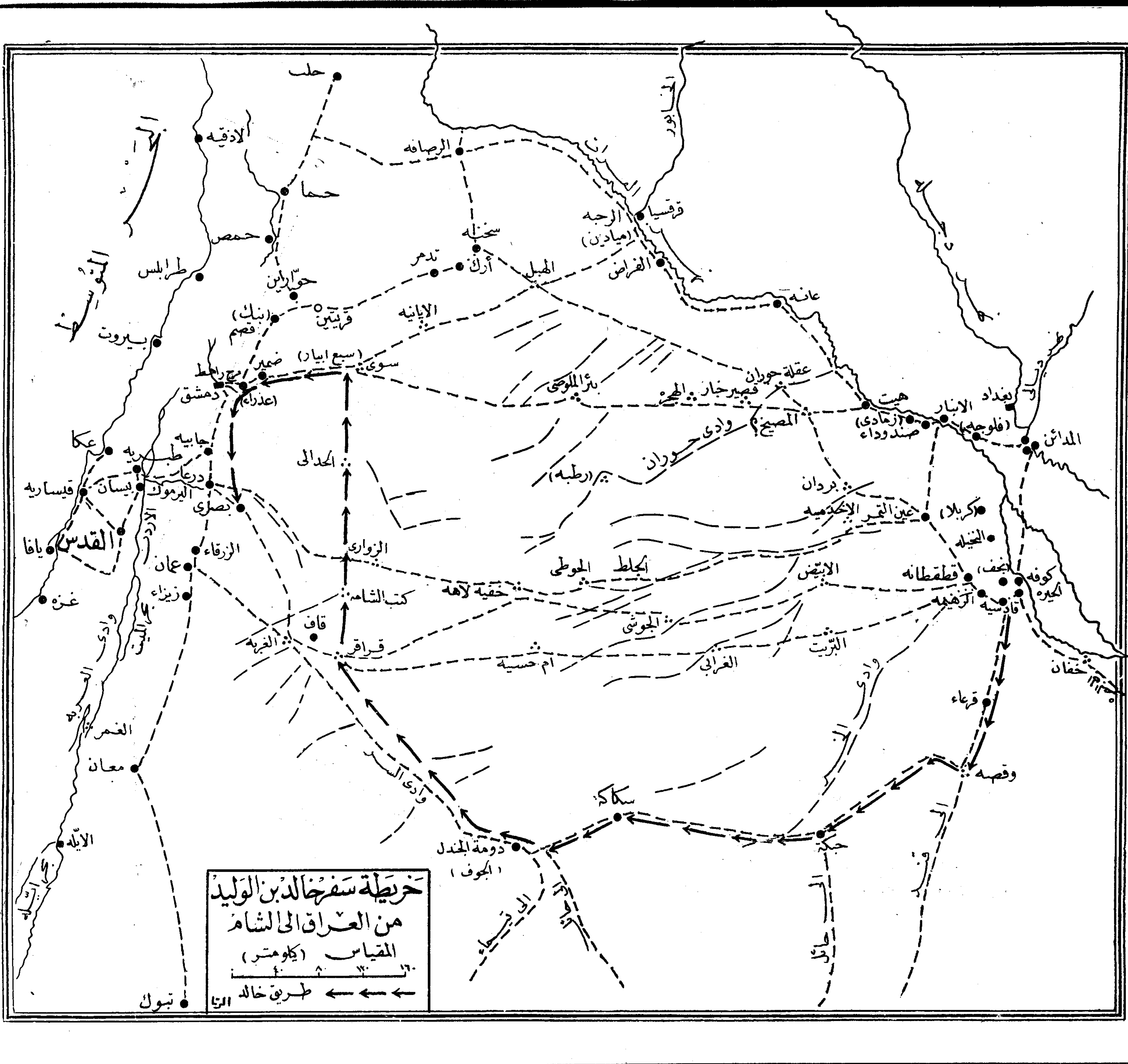
من العراق الى الشام

- ٢ -

متى ترك خالد العراق ؟

قلنا ان الروايات ، ما عدا رواية واحدة ، لم تذكر تاريخ سفر خالد من العراق . روى المدائني ان خالداً شخص من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وقد أيد ذلك البلاذري ولعله روى الخبر من المدائني . وأورد الذهبي ان كتاب ابي بكر جاء خالداً في اوائل سنة ثلاث عشرة . وهناك روايات عديدة تقول ان أمر ابي بكر وصل الى خالد بعد منصرفه من حجته سنة اثنتي عشرة ، وهذا ينطبق على ما ذكره الذهبي . وما دام خالد تكتم في حجته هذه فلا بد أنه ترك مكة بعد الحج وتوجه تواً الى العراق ، ولا يستطيع أن يصل اليه قبل انقضاء أكثر من نصف شهر . لهذا لا يمكن أن يصل أمر أبي بكر اليه الا في المحرم سنة ثلاث عشرة .

علمنا مما تقدم أن خالداً أغار على الغسانيين بمرج راهط في عيد فصحهم أي في يوم ٢٤ نيسان سنة (٦٣٤) وهذا يصادف يوم ١٩ ربيع الأول سنة (١٣) . واذا فرضنا أن أمر ابي بكر وافى خالداً في منتصف المحرم أو في أواخره ، واذا علمنا أنه قضى بعض الوقت ليتأهب للسفر ، إذن لا يشرع بالسفر الا في نهاية شهر المحرم او في أوائل شهر صفر ، أي قبل منتصف شهر آذار سنة ٦٣٢ أو بعده .



خريطة سفر خالد بن الوليد
من العراق الى الشام
المقياس (كيلومتر)
طريق خالد
حلب
الرصافه
اللاذقيه
حما
حمص
طرابلس
بيروت
سخنه
تدمر
أرك
حوارين
قريتين
الابانيه
(ابنك) قصم
ضمير
(سبع ابيار)
سوى
مرج راهط
دمشق
(عذراء)
عكا
طبريه
جابيه
درعا
بيسان
اليرموك
قيساريه
بصرى
القدس
يافا
غزه
الزرقاء
عمان
زيزاء
معان
الايله
تبوك
قرقيسيا
الرحبه
(ميادين)
الفراض
عانه
هيت
الانبار
بغداد
(فلوجه)
المدائن
صندوداء
عين التمر
كربلا
النجف
كوفه
الحيره
قادسيه
قطقطانه
الرهيمه
خفان
قرعاء
وقصه
سكاكه
دومة الجندل
(الجوف)
قراقر
قاف
الغربه
كتب الشام
الزوارى
الحدالى
خفية لاهه
الجلط
الحوطى
الجوشى
ام حسيه
الغرابى
الابيض
بردان
المصيخ
وادى حوران
بئر الملوحى
عقلة حوران
(رطبه)
وادى السرحان

أما المدة التي قضاها في السفر فلا يمكن معرفتها قبل معرفة الطريق التي سار فيها خالد في سفره الى الشام ، ومعرفة فيما اذا قضى بعض الوقت في الاغارات والفتوح كما جاء في الروايات .

الطريق التي سلكها خالد[1] :

أشرنا فيما سبق الى أن خالداً أوفد مدداً وغوثاً الى جيش المسلمين في الشام والى أن ابا بكر استحثه في المسير طالباً اليه أن يسرع الى نجدة اخوانه قبل أن يهاجمهم الروم ؛ لهذا يتراءى لنا أنه يختار الطريق الأقصر في سفره . ولا يخطرن على بالنا أنه سلك طريقاً لا ماء فيها والموسم كما علمنا ، ليس موسم شتاء .

والطريق الأقصر الذي يربط العراق بالشام هو درب الساعي أي ساعي البريد الذي يقطع بادية الشام من الغرب الى الشرق ويبدأ من دمشق ماراً بقرية ضُمير وينتهي بقرية هيت على الفرات . ويبلغ طول الطريق هذه أكثر من ستمائة كيلو متر ؛ ولا يوجد فيه الماء الا في أماكن محدودة وهو غير متوفر بها ولا يمكن أن تسلكه جماعة كبيرة . لهذا ينبغي لنا أن نفتش على طريق أخرى يكثر فيها الماء . وهذه الطريق إما أن تكون في الشمال أو في الجنوب ، أي الطريق التي تسير بها القوافل بين العراق والشام . والطريق الشمالية تسلك وادي الفرات حتى (الفراض) ثم تترك الوادي وتتوجه الى الشمال الغربي الى (السخنة) ومنها الى تدمر فالقريتين ، فحوّارين ، فدمشق . وتبدأ الطريق الرومانية القديمة من الفراض وتمر بالرحبة والسخنة ثم تذهب الى تدمر ومنها تتشعب عدة طرق رومانية الى حمص وحماة ودمشق . ومن السخنة تتشعب طريق الى الرصافة ومنها الى (صورا) على ضفة الفرات . وطول الطريق هذه من الحيرة الى دمشق أكثر من ألف كيلو متر . وتمر بالحصون التي أقامها الروم على حدود البادية كما تجتاز قلعة تدمر الحصينة . أضف الى ذلك أن الطريق المذكورة تجتاز ديار تغلب وهي القبيلة الكبيرة الموالية للروم ومنها العرب المتنصرة .

---

(١) راجع الخريطة .

لهذا لا يعقل أن خالداً يسلكها لأنها طويلة ، ولأنه لا بد من الاصطدام بالحصون والقلاع . والجند الروماني ومرتزقة العرب مرابطون في المخافر وقد يسعى الروم الى ارسال قوة من مراكز أجنادها لسد الطريق بوجه خالد ومنعه من الانضمام الى المسلمين . وما دام المسلمون بحاجة اليه في الشام فينبغي لخالد أن يتجنب ما يؤخر سيره من قتال ومحاصرة حصون وقلاع .

تفصيل الطريق بين العراق والشام :

ذكر ابن خرداذبة طريقين تقطعان البادية بين العراق والشام .

الأول — الطريق من عين التمر الى بصرى وتفصيلها ، من عين التمر الى (الأخدَميّة) ثم الى (الخَفِيّة) ثم الى (الخَلْط) ثم الى (سُوَى) ثم الى (الأجَيْفِر) ثم الى (الغُرْبَة) ثم الى بصرى [١] .

الثاني — من الكوفة الى دمشق وتفصيلها من الحيرة الى (القطقطانة) ثم الى (البقعة) ثم الى (الأبيض) ثم الى (الجُبّة) ثم الى (القلوفى) ثم الى (الرواري) ثم الى (الساعدة) ثم الى (البقيعة) ثم الى (الاعناك) ثم الى (أذرعات) ثم الى (منزل) ثم الى (دمشق) [٢] .

لقد ثبت (ألويس موسل) في كتابه هذين الطريقين . فثبت الأولى كما يلي [٣] :

(الأخدمية) تسمى اليوم (أخدمية) وهي على خمسة وسبعين كيلومتراً غربي عين التمر . وهو اسم لبئر في شعيب الأخدمية . أما الخفية والخلط فقد تحور اسمها ، والخلط انقلب الى (غدير الخلط) على بعد مائة وعشرة كيلومترات غربي الأخدمية ؛ أما الخفية فهي (خَفَاية لاهه) على الطريق القديم بين العراق

---

(١) المسالك والممالك ص (٩٧) .
(٢) » » ص (٩٩) .
(٣) ص (٥٢٦) Arabia Dezerta - Aleys Musil .

والشام غربي غدير الخليط على مسافة مائتين وعشرين كيلو متراً . أما سُوى فذكر موسل ان ابن خرداذبة ذكرها خطأً بدلاً من (قُراقر) لأن البيت الذي أورده شاهداً هو الذي يذكر تفويز خالد بن الوليد من قراقر الى سوى بدلالة رافع ، قراقر في أول المفازة وسوى في منتهاها . ولأن سوى تقع في الشمال بعيدة كثيراً عن هذه الطريق .

أما الغربة فهي (أم غُرُبات) على سبعين كيلو متراً غربي قراقر والمسافة بين أم غربات وبصرى مائة واربعون كيلو متراً .

وقد ثبت موسل الطريق الثانية كما يلي [1] :

القطقطانة هي قرية (القطقطانة) الحالية ولا تزال مسكونة على بعد خمسة واربعين كيلو متراً غربي النجف . والبقعة فلم يثبتها . أما (الأُبَيّضْ) فقد ثبته (بخشم المعزّة) وقال موسل ان (غرّة) مؤنث (الأبيض) وهو على بعد ستين كيلو متراً غربي القططقانة وبالقرب من بئر (ألمكن) الغزير المياه . ولعل الحوش هو الجوش وقد وجد موسل في الطريق (خَبْرَة الجوشيه) في نهاية وادي (عَرار) على بعد خمسين كيلو متراً جنوبي غربي الأملكمن . ولعل الجمع هو (غدير الجمعان) على ستين كيلو متراً غربي الجوشية . والحوطي (غدير الحط) على خمسة وستين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي الجمعان . ويجوز جبه تهجئة خاطئة لحوض (مجنية) الكبير الذي تجتمع فيه مياه الأمطار ، وهو على بعد مائة كيلو متر غربي ، شمال غربي الحط . أما القلوفى فوردت باسم (علوى) في مخطوطة اكسفورد لعلها (عَوْدِيّة العَلَوِيّة) وهي على ستة وتسعين كيلو متراً غربي ، شمالي غربي مجنة . والرواري فهو تحريف الدواري أي (الدوارة) الحالية أو تحريف (الزواري) وهو اسم لبركة مهمة على ثمانية وخمسين كيلو متراً غربي العلوية . والساعدة ، يجوز أن تكون منبع (سَعدَة)

---

(١) المصدر السابق ص (٥٤٤) .

على خمسين كيلومتراً غربي الدوارة • وتقع الأعناك والبقيعة في جبل حوران • والمنزل بين أذرعات ودمشق هو (الكسوة) •

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاويم ثلاث طرق بين العراق والشام [1] •

الطريق الأولى طريق (الكوفة الرُهيمَة — البخَيت — القِراني — الخَنفِس — ألحشيَة — العُزَيفة — قراقر — الأزرق — عمان) •

وقال : «وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة الى الرهَيمة ١٢ ميلاً ثم الى البخَيت نهارين ثم الى القراي مثلها ثم الى الخَنفس نهاراً ثم الى الحشية مثله ثم الى العُزَيفَة مثله ثم الى قَراكِر مثله ثم الى الأزرق مثله ثم الى عمان مثله ، الجميع ١١ مرحلة خفافاً •

وفصل موسل هذا الطريق وبين أن الرهيمة قرية على بعد ثلاثين كيلومتراً غربي الكوفة • وقال ان البخَيت ورد اسمه في مخطوطتي برلين واستانبول (ألبَرِيت) وهو على بعد مائة وعشر كيلو مترات غربي ، جنوبي غربي الرهيمة وجاء اسم الغرابي في مخطوطة استانبول بدلاً من القرائي وهو غدير الغرابي على تسعين كيلو متراً غربي ألبريت • وقد انقلب اسم بئر الخنفس الى عمارة الخنفس وهي خربية في وادي الأُبَيق على بعد مائة كيلو متر و كيلو مترين غربي ، شمالي غربي الغرابي • أما الحشية فهي بريكة (ام إحَسيَة) الواقعة على بعد مائة وخمسة عشر كيلو متراً غربي الخنفس • لم يعثر موسل على مرحلة العزيفة • ولا ماء في هذه الطريق في مسافة أربعمائة وخمسين كيلو متراً من البريت الى قراقر ولا يعثر المسافر على الماء فيه الا بعد هطول أمطار غزيرة •

الطريق الثانية — طريق (هيت — دمشق) : لم يذكر المقدسي اسماء المراحل في هذه الطريق ولكنه اكتفى بقوله بأنها تقطع في عشرة أيام • فاذا قطع المسافر في كل يوم ستين كيلو متراً فيكون طولها ستمائة كيلو متر •• يؤكد

---

(١) المُقدسي : أحسن التقاويم في معرفة الأقاليم ص (٢٥١ — ٢٥٢) •

موسل بان هذه الطريق هي الطريق التي تسمى الآن بدرب الساعي الذي كان بريد الهجين يقطعه قبل الحرب العامة الأولى من ضمير الى هيت ماراً ببادية الشام من الغرب الى الشرق ٠ والمسافة من هيت الى (قصير خباز) نحو من خمسين كيلو متراً ومنه الى (الهجرة) أو (المهيجر) مائة وعشرون كيلو متراً ومنه الى (راح) تسعون كيلو متراً وتقع (آبار الملوش) على مقربة منه ٠ ومنه الى (سبع أبيار) مائتا كيلو متر ومنها الى ضمير ستون كيلو متراً ٠

الطريق الثالثة — طريق (الرحبة — دمشق) ٠ لم يذكر المقدسي مراحلها وجاء في مخطوطة استانبول أن مراحلها عشرة ٠٠ يبدأ السفر من الرحبة أي قصبة (ميادين) الحالية الواقعة على الفرات جنوبي دير الزور ومنها الى (آبار الجب) على خمسة وثلاثين كيلو متراً غربي ، جنوبي غربي الرحبة ومنها الى (كلبان الهيل) مائة وخمسة وعشرون كيلو متراً في الاتجاه نفسه ومنها الى (كلبان الأثيانية) وهي ذات مياه كثيرة على مائة كيلو متر من كلبان الهيل ٠ والمسافة منها الى ضمير مائة وستة وثلاثون كيلو متراً لاماء فيها ٠ تقطع هذه الطريق في ثمانية أيام ٠

وهناك طريق آخر بين العراق والشام ، تقطعه القوافل التجارية تبدأ من الأنبار مارة بضفة الفرات اليمنى الى الفراض (أي الصالحية) أو الرحبة (الميادين) ومنها الى السخنة فتدمر فالقريتين فدمشق ٠

وتوجد طريق أخرى توازيها وبعيدة عن ضفة الفرات تبدأ من عين التمر الى (بردان) ثم الى (الحنى) ثم الى (المُصيّخ) ، ثم تقطع وادي حوران في (عقلات حوران) ومنها الى (الرنقة) ثم الى (آبار الجب) ثم الى (السخنة) ٠

وثمة طريق أخرى من أقصى الجنوب يربط العراق ببلاد الشام ، تأخذ من الحيرة الى دومة الجندل وتمر بوادي السر (وادي سرحان) وتنتهي ببصرى ٠ وتمر بقسمها الأول بالقادسية و (القرعاء) و (الليفية) و (الحَبَّكة) و (البريكات) و (قليب صوير) و (سكاكة) ثم ينتهي بدومة الجندل وتمر بقسمها الثاني بوادي

السر وقد قطعه المنهزمون في معركة الجمل سنة ست وثلاثين هجرية كما جاء في الطبري نقلاً عن سيف بن عمر[1] وجاء في الرواية :

«أجار عصمة بن أبير التيمي عتبة بن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابناء الحكم بعد هزيمتهم في وقعة الجمل وقال لهم اختاروا أحب بلد اليكم أبلغكموه ، قالوا الشام ، فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى اذا أوغلوا في بلاد كلب بدومة (دومة الجندل) قالوا (قد وفيت ذمتك) . ولعلهم مروا بعد البصرة بنقرة السلمان وحبكة حتى وصلوا دومة الجندل ومنها الى بصرى بطريق وادي السر .

ولما تعذر على العراقيين من ضباط وموظفين وغيرهم البقاء في سورية بعد احتلال الجيش الفرنسي لها سنة ١٩٢٠ تركوا دمشق على ظهور الابل واجتازوا البادية من ضمير الى كربلاء ومروا بخفية لاهة وانتهوا بالأخيضر . وكان سفرهم في شهر حزيران سنة ١٩٢١ .

ذكرنا الطرق التي تربط العراق بالشام ولنبحث الآن عن الطريق التي سار فيها خالد بن الوليد :

أرسل خالد مدداً وعوناً للمسلمين في الشام وطُلب اليه أن يسرع في النجدة فكان لزاماً عليه أن يختار الطريق الأقصر والأقل خطراً ، كما أنه كان ينبغي له الا يجازف في طريقه بالمرور بمناطق تسكنها قبائل معادية وأقيمت فيها مسالح للعدو وألا يجهد خيله لأنه بحاجة اليها في مقاتلته للروم في الشام . ويتضح من الروايات ان قبائل بكر بن وائل كانت مع المسلمين وهي تنزل بادية السماوة من طريق (فيد — الأبلة) الى أطراف الحيرة ، ولعل الحيرة وأطرافها كانت في المنطقة الفاصلة بين قبائل تغلب وقبائل بكر ويتضح أيضاً من أخبار الرواة أن قبائل تغلب كانت مناصرة للفرس ومقاتلة للمسلمين . والطرق بين العراق

(١) الطبري ، الجزء الثالث ص (٥٤٠) .

والشام ، من الأنبار الى الشمال الغربي ، تمر جميعها بديار تغلب ، ثم بديار كلب وبهراء . أما الطريق في أقصى الشمال المارة بتدمر فعليه حصون ومسالح ومخافر للروم على الحدود أقامها الروم ضد الفرس وضد غارات البدو . وفي الفراض مثلاً ، وتقع على الحدود ، حصنان واحد للروم في غربي الفرات والثاني للفرس في شرقيه . وفي قرقيسيا قلعة للروم في الضفة اليمنى . ومدينة تدمر ومدينة الرصافة الواقعة الى شمالها ، مدينتان محصنتان بأسوار ، وقد أقيمت الحصون والمخافر على طول الطريق بين تدمر ودمشق ، منها مخافر أمامية على حدود البادية ومنها حصون خلفية أقيمت في القرى والقصبات وعلى أماكن الماء .

ومن الواضح أن خالداً لا يقدم على السير في طريق تقل المياه فيه وقد يستطيع المسافر الواحد أو القافلة المؤلفة من بضعة أشخاص أن تسير في الطرق التي تشح فيها المياه ؛ ولا يتيسر للقافلة الكبيرة ، وفيها خيل ، أن تسير في تلك الطرق ، ان وجد الماء فيها ، ففي محلات متباعدة جداً . ومن هذه الطرق طريق (الرحبة — دمشق) وطريق (هيت — دمشق) وقد بدا من تثبيت موصل لها أن أماكن الماء في هاتين الطريقين متباعدة كثيراً وهي اما بركات أو أحواض طبيعية لا يكون الماء فيها الاّ في الشتاء ، بعد نزول أمطار غزيرة . وقد تبين لنا ان خالداً قطع الطريق بين العراق والشام بعد انقضاء موسم الشتاء ، وهو على رأس قوة ليست قليلة العدد وفيها الخيل التي لا تحتمل العطش كالإبل .

عدد الرجال الذين سافر بهم خالد :

تضاربت الروايات في تقدير قوة خالد بن الوليد . فروى المدائني ان قوة خالد تتفاوت بين ستمائة وثمانمائة وأيد البلاذري هذه الرواية وجعل قوة خالد تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة . وأكد ابن الاثير ذلك . أما ابن عساكر فقال انها ثلاثة آلاف وجعل ابن كثير قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة . وقد ورد

أن أبا بكر أمر خالداً أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس . وفي بعض الروايات أن المثنى اعترض على خالد لما رآه يستأثر بالصحابة ويترك له من لم يكن له صحبة ، وقال له والله لا أقيم الا على انفاذ أمر ابي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف [1] وذكر ابن عساكر ان ابابكر كتب الى خالد أن يمضي مخففاً في أهل قوة من الصحابة الذين قدموا معه العراق من اليمامة وصحبوه في الطريق وقدموا عليه من الحجاز [2] . وذكر ابو يوسف ان خالداً خرج بألفين الى العراق ومعهم من الأتباع مثلهم ، فمر بفيد ، فخرج معه خمسمائة من طي ومعه مثلهم فانتهى الى شراف ومعه خمسة آلاف أو أقل أو أكثر [3] . ويتضح مما ذكره أبو يوسف ان الذين خرجوا من الحجاز ألفان ، ولو فرضنا انه أخذ نصفهم حين سفره من العراق امتثالاً لأمر ابي بكر فيكون قد ذهب الى الشام على رأس الف رجل على أكثر تقدير . لهذا لا عبرة بما ذكره ابن كثير من أن قوة خالد تسعة آلاف وخمسمائة وما ذكره ابن عساكر من أنها ثلاثة آلاف . وقد صرحت الروايات ان خالداً رد الضعفاء والنساء الى المدينة ليمضي مخففاً في أهل قوة .

لهذا نرى ان رواية المدائني التي أبدها البلاذري ونقلها ابن الأثير هي أصح الروايات عن قوة خالد . فقوته اذن كانت بين ستمائة وتسعمائة مجاهد . ومن الطبيعي أن القوة كانت راكبة ، ولا يبعد أن يكون ركاب الإبل ردفاً ، كأن يركب اثنان على جملٍ واحد . ولعل نسبة الخيل من الإبل كانت تتفاوت بين واحد في العشرة الى الواحد في الخمسة عشر .

(١) الطبري ، الجزء الثاني ، ص (٦٠٥) .
(٢) ابن عساكر ، الجزء الأول ص (١٣٨) .
(٣) الخراج ، ص (١٦٩) .

مقارنة بين الطرق :

ظهر لنا من الكلام عن الطرق التي تربط العراق بالشام أن الطريقين الأول والثاني اللذين ذكرهما ابن خرداذبة والطرق الثلاثة التي ذكرها المقدسي كانت بأجمعها طرقاً تقطع البادية من الشرق الى الغرب والمياه فيها قليلة ، وهي اما آبار واما غدران او أحواض او جوابي مجمع مياه ، والمسافات بين أماكن الماء بعيدة تقطع في مرحلتين أو في ثلاث مراحل أحياناً . ولا يمكن قطعها بالخيل ويتعذر قطعها بقافلة مؤلفة من عددٍ كبير من الناس الا في موسم الأمطار الغزيرة . ويبلغ طول الطريق في أقصى الشمال من عين التمر الى دمشق نحواً من ألف كيلو متر ، وهي تجتاز مسالح الروم وقلاعاً وحصوناً ، يضاف الى ذلك أنها تقطع ديار قبيلة تغلب التي ظهر عداؤها للمسلمين بوقوفها في جانب الفرس ومقاتلتها للمسلمين قبل سفر خالد بن الوليد . ولا يوجد في هذه الطريق موقعا قراقر وسوى اللذان اتفقت الروايات على أن خالداً مر بهما أثناء تفويزه في البادية . وقراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء وليس لقبيلة كلب منازل في طريق (الفراض - أرك - تدمر) ، لأن هذه الأماكن واقعة في ديار تغلب . لهذا يصعب الاعتماد على الروايات القائلة إن خالداً مرّ بهذه الدروب ، اذ لا بد له ، في مسيره عليها من مناوشة التغلبيين من جهة ومقاتلة المسالح واضطراره الى محاصرة الحصون والقلاع من جهةٍ أخرى ، وفي ذلك مضيعة للوقت وانهاك لقوته الصغيرة ، فضلاً عن اقتحامه لهذه العقبات جميعها . وقد يتربص له الروم لما ينتهي اليهم من أنباء حركاته ويحولون دون نجدته للمسلمين .

وعلى الرغم من كل ذلك فان دي جويه وكايتاني اعتمدا على الروايات التي تقول إن خالداً مرّ بأرك وتدمر والقريتين وحوارين في طريقه من العراق الى الشام . وكان سبب ذلك عدم المعرفة بموقعي قراقر وسوى . وقد اكتفى جغرافيو العرب

على عادتهم بذكر الروايات عن المواقع من دون أن يثبتوا المحل بالضبط ، فذكروا ان قراقر ماء لكلب وسوى ماء لبهراء . وذكر ياقوت في معجمه في مادة قراقر انه ماء لكلب وواد لكلب بالسماوة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام وفيه قيل :

لله در رافع أنى اهتدى   خمساً اذا ما سارها الجيش بكى
ما سارها من قبل أنسي يرى   فوّز من قراقر الى سوى

وذكر البكري في مادة قراقر انه موضع في ديار كلب واستشهد ببيت نسبه الى خالد:

ضل ضلال رافع أنى اهتدى   فوز من قراقر الى سوى
خمساً اذا ما ساره الجيش بكى

ويدل بيت قاله حكيم ان قراقر بشق الشام والبيت كما يلي :

وان بنية قد ناؤنا بدارهم   لحوران أدنى دارهم فقراقر

وقد استند كايتاني في بحثه [1] الى الرواة من جماعة المدينة كالواقدي والمدائني واعتبر رواية ابن اسحق ناقصة . أما روايات سيف بن عمر وهو من جماعة الكوفة فلم يلتفت اليها . وكايتاني لا يعتمد كثيراً على سيف ويعتبر ما جاء في رواياته من نسج الخيال ولكن الاعتماد على روايات المدائني والواقدي في هذا الصدد من دون تمحيصها ، تظهر لنا ان خالداً ورجاله يخبطون خبط عشواء ويضربون في أرض البادية ويسيرون في اتجاهات متخالفة ، بينما اخوانهم في الشام ينتظرون وصولهم .

---

(١) لم نطلع على ما كتبه كايتاني عن رحلة خالد من العراق الى الشام لأن الجزء الثاني من مجلده الثاني من حوليات الاسلام نفد . والنسخ في مكتبة وزارة الدفاع العراقية ومكتبة دائرة الآثار ناقصة ، لا تحتوي على المجلدين الأول والثاني . وكان الكاتب التركي حسين جاهد بالشين قد ترجم المجلد الأول والجزء الأول للمجلد الثاني ونشر ترجمته في عشرة أجزاء . لهذا ظل الجزء الثاني المجلد الأول بعيداً عن متناول اليد في خزائن بغداد والذي أدرجناه في بحثنا هذا من آراء كايتاني اقتبسناه من كتاب « الويس موسل – The Arabia Dezerta » نقلاً عن ملحقه الباحث عن سفر خالد من العراق الى الشام وهو بحث قيم أماط اللثام عن كثير من النقاط الغامضة وثبت الطريق الذي سلكه خالد .

فالواقدي[١] جعل خالداً بعد وصوله الى سوى يخرج الى الكوائل ثم يأتي قرقيسيا ، ثم أرك ، ثم دومة الجندل فيفتحها ، ثم يأتي قصم فيصالحه أهلها ثم يبلغ حوارين فيظفر بأهلها أو يسبي ويغنم الى أن يغير على بني غسان في مرج راهط في عيد فصحهم . فخبر الواقدي هذا يدل على أنه كان يجهل جغرافية البلاد ، لهذا اعتمد على الروايات وحشرها حشراً من دون أن يتأكد من موضع الأماكن التي ذكرها .

رأى المدائني[٢] أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالتوجه الى الشام ، قد ذهب من الحيرة لمحاربة العدو في صندوداء ، ثم يقاتل جموع تغلب في المُصيخ والحصيد ، ثم يفوز من قراقر الى سوى ، ثم يأتي أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم ويقاتل أهلها ويظفر بهم حتى يغير على الغسانيين . والرواية هذه تتفق تماماً مع رواية الواقدي في أعمال خالد من سوى الى مرج راهط .

وقد ذكر ابو يوسف[٣] ان خالداً بعد أن توجه من عين التمر وقطع المفاوز أغار على بني تغلب حتى أتى النُقيب والكوائل ثم مر بعانات حتى أتى قرقيسيا وانتهى بعد ذلك الى دمشق . ومن الغريب ان كايتاني الذي يعتبر ابن اسحق من أوثق الرواة أهمل روايته عن سفر خالد ولم يلتفت اليها . ولعل رواية ابن اسحق على قصرها أصدق رواية عن سفر خالد وهي أقدم رواية وصفت كيف استعد خالد في قراقر لاجتياز المفازة الى سوى ودبر أمر الماء . وقد رواها بعده سيف بن عمر والهيثم بن عدي وأشار اليها البلاذري باختصار . ولم تشر رواية ابن اسحق الى أن خالداً مرّ بأرك وتدمر وحوارين . انما جعلت وجهته بعد سوى مرج راهط . وقال ان الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت به المياه حتى أغار على مرج راهط كما جاء في تاريخ ابن عساكر .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص (١١٩) .
(٢) الطبري الجزء الثاني ص (٦٠١) .
(٣) الخراج ص ١٦٩ .

والعمل الوحيد الذي قام به خالد في طريقه ، هو فتحه لعين التمر ، خلافاً لما ذكره ابو يوسف والمدائني والواقدي من فتوح . ولم يذكر ابن اسحق في روايته ، المراحل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر مما يدل على انه لم يحدث شيء غير اعتيادي في هذه الطريق وانه سلك طريق القوافل ذات المياه .

وجرى سيف بن عمر على عادته فأسهب في روايته ولم يشر الى الفتح الذي تم لخالد في سفره وجعل طريقه من الحيرة الى دومة الجندل ومنها الى قراقر فسوى فمرج راهط وقدم أخبار الفتوح التي وردت في الروايات الأُخرى على سفر خالد ، فذكر فتح عين التمر والقتال في الحصيد والمصيخ والفراض والبشر قبل ذهاب خالد الى الحج في آخر سنة ١٢ هجرية وقبل استلامه كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام أوائل سنة ١٣ هجرية . لقد نبه سيف في روايته الى السبب الذي دعا خالداً الى أن يفوّز من قراقر الى سوى وأوضح السبب الذي حدا بخالد على المجازفة في التفويز برجاله رغم الأخطار التي ذكرها دليله رافع . سأل خالد رافعاً : « كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين » ، هكذا يظهر ان خالداً اجتاز المفازة رغم وجود طريق أمين لأنه أراد ألاّ يقف الروم بوجهه فيمنعونه من نجدة المسلمين في الشام .

واعتمد « دي جويه » بعد أن ناقش الروايات على الرواية التي رواها ابن اسحق وأكمل نقصها بروايات المدائني والبلاذري وزيَّف رواية الواقدي التي جعلت مرحلتي الكوائل وقرقيسيا بعد سوى وضعَّف أيضاً رواية أبي يوسف التي جعلت خالداً بعد قطعه البادية يمر بعانات والنقيب والكوائل وقرقيسيا وقال [١] :

« ذكر (هانبرج) ان خالداً بسفره من الأنبار وعين التمر كان يستطيع بعد بضع مراحل ان يصل الى تدمر ماراً بأرضٍ خصبةٍ مزروعة . ولكنني أعارضه في ذلك ، لأنه كان ينبغي لخالد أن يسلك طريق الفرات للوصول

---

(١) مذكرة عن فتح الشام ص (٤٤) .

الى الطريق العام ، وبذلك يدور دورة كبيرة ، ناهيك بالأخطار التي تعرض لقوته الصغيرة باجتيازها أرض العدو . ويرى هانبرج ان المنازل أرك وتدمر .. الخ لا يمكن ان تكون على الطريق التي قطعها خالد والتي جعلها في حوران الشرقية على سيف البادية . ولا شك في أن خالداً كان في مكنته بعد ارتحاله من سوى ان يقصد الى الجنوب الغربي ويذهب رأساً الى عمان . بيد أن أكثر الروايات قالت ان خالداً توجه الى الشمال الغربي ونحو أرك . ولا يذكر ابن اسحق أرك وتدمر ولكنه يذكر مرج راهط . ولا تستند فرضية هانبرج الى أساس تاريخي وتضطرنا الى القول بأن خالداً بعد بلوغه بصرى ، لا يسرع للاجتماع بالقادة الذين كانوا ينتظرونه ولكنه يقوم بغزوه نحو تدمر وهذا لا يعقل .

واذا علمنا ان نصف الطريق الثاني التي سار فيها خالد تمر بأرك وبتدمر والقريتين وحوارين ومرج راهط وان بدأ حركته من عين التمر يتعذر علينا الاعتراف بعض الشيء بالقول ان خالداً غامر فاجتاز البادية للوصول الى الطريق العام لبلوغ دمشق من شمالي الجزيرة . ان الاتجاه الذي اتخذه على هذه الصورة يؤدي الى الشمال الغربي . لهذا يلوح لنا بأنه بعد تركه عين التمر تقدم نحو قراقر وفوز منها الى سوى ثم سار الى أرك . . . .

حتى اذا وصل خالد في أرك الى الطريق العام مكث قليلاً في تدمر وبعد مدة قصيرة بلغ القريتين ثم الى حوارين فالتقى لأول مرة بقوات انهالت عليه من بصرى وبعلبك تقاومه أعنف مقاومة . . . .

ولما اجتاز خالد المضيق الشهير الواقع على طريق (دمشق — حمص) وقف برهة فوق الرابية المطلة على المضيق . . . . التي سميت بثنية العقاب ، ثم تقدم جاعلاً دمشق على يمينه وباغت الغسانيين في مرج راهط في يوم الفصح . . . . » .

قلنا ان ما دعا المؤرخين الغربيين الى تصديق أخبار فتوح خالد في طريقه الى الشام واقرار الروايات القائلة انه دخل الشام من طريق تدمر ، هو جهلهم موضع قراقر وسوى .

قراقر وسوى :

ومع ان ابن اسحق وابا يوسف جعلا المفازة بين قراقر وسوى بعد عين التمر وان سيف بن عمر وعقبة ذكرا ان المفازة بعد دومة الجندل وان الهيثم بن عدي قال ان خالداً مرّ بالسماوة حتى انتهى الى قراقر ففوز منها وان اللالطائي (ابن عساكر) جعل المفازة قبل وصول خالد الى ضمير وعلى الرغم من كل ذلك فان كايتاني استند الى ما كتبه الرائد پيترس الذي زعم أن قرية (سُوه) الواقعة على ضفة الفرات اليمنى هي سوى التي مر بها خالد . ولكن موسل ذكر ان اسم القرية المذكورة (السَوِيَّة) لا (سُوه) وهي قريبة من البوكمال . ويتضح مما كتبه موسل[1] ان كايتاني اعتمد على ما أورده اليعقوبي من ان خالداً ذهب الى الأنبار بعد أخذ أمر ابي بكر وأخذ دليلاً منها وقال ان الأنبار قد تكون قراقر لأنها على نهر الفرات ولأن خالداً أخذ الدليل منها . . . . ولا حاجة للاشارة الى تفاهة هذا الاستنتاج . واذا كانت الأنبار رأس المفازة بين قراقر وسوى فينبغي أن تكون المفازة على ضفة الفرات اليمنى على حين لا طريق القوافل المارة بالفرات ولا الطريق التي توازيه غرباً هي طريق مفازات ، لأن الأول يمر بجانب الفرات والثاني قريباً منه وفيه مياه ، فضلاً عن أن المؤرخين والجغرافيين قالوا ان قراقر ماء لكلب وديار كلب بعيدة عن الفرات وان الطريقين المذكورتين تمران بديار تغلب . وقد أجمعت الروايات على أن خالداً في سفره من العراق اجتاز مفازة بين قراقر وسوى وصرحت بعض الروايات ان طول المفازة خمس ليال وجعل اليعقوبي المفازة بين الأنبار وتدمر وقال ان خالداً سار في البرية والمفازة ثمانية أيام وقد ذكرت بعض الروايات ان خالداً فوز قبل وصوله دومة الجندل ومن الروايات ما جعل المفازة في حجة خالد من الفراض الى مكة .

وقد استند كايتاني الى رواية المدائني التي جاء فيها أن خالداً بعد أن فوز

---

(١) Arabia Dezerta ص (٣٠٢) .

من قراقر الى سوى أتى أرك وتدمر ثم بلغ القريتين ... الخ استند الى هذه الرواية وقال ينبغي البحث عن موضع سوى في جوار أرك وزعم أن سوى هي قرية السخنة وبذلك فتش على المفازة بين نهر الفرات والسخنة أي في سلسلة البشري الممتدة من ضفة الفرات اليمنى الى شمالي شرقي السخنة . ولكن موسل اعترض على رأي كايتاني هذا وقال ان الطريق بين الفرات والسخنة من سلسلة البشرى قصير ، يقطع في يومين أو ثلاثة ، لا في خمس ليال كما جاء في الروايات ثم ان المياه فيه كثيرة .

هكذا يتضح للقارئ ان سبب كل هذا الاختلاف جهل محل قراقر وسوى . ومن نظروا في الخرائط لم يعثروا على هذين الاسمين لأن الخرائط المتيسرة يومئذ لم تعرض لهما لبعد موضعهما عن المناطق الكثيرة القرى ولم يتسن للرواد أن يمروا بهما فيثبتوهما في الخريطة . وكان أول وآخر من ثبت هذين الاسمين في الخريطة الرائد الشكوسلوفاكي (ألويس موسل) الذي قطع قبل الحرب العظمى الأولى وفي أثنائها بادية الشام وشمالي جزيرة العرب . وثبت الأسماء التاريخية القديمة ورسمها على الخريطة ومر بقراقر وما يزال البدو يسمونها قراقر بفتح أوله وبلهجتهم وهو معروف لديهم باسم (كلبان قراقر) . وقد صورها موسل [1] وكلمة (كلبان) جمع كليب (قليب) البئر . وذكر ان الآبار فيها أكثر من عشرين بئراً تقع جميعها في الطرف الشمالي الشرقي لحوض المياه بين الجبلين الأسودين (المَحاط) (ورَبْدة) وعمق بعض الآبار ثلاثون سنتمتراً (?) وعمق الأخرى ثمانون سنتمتراً وتقع قراقر شمالي شرقي الجوف (دومة الجندل) على بعد مائتين وثلاثين كيلومتراً وشرقي ، جنوبي شرقي قرية (كاف) في وادي السرحان ، في المحل الذي تنعطف فيه حرّة الشامة من الشمال الى الجنوب الشرقي وعلى شرقي الطريق المار بوادي السرحان بين دومة الجندل وبصرى وفي الحافة الشرقية لهذا الوادي الذي كان العرب يسمونه (بطن السر) وسبب هذه التسمية ان الوادي عريض ، عبارة عن قاع بين هضبتين . وتقع قراقر على بعد خمسمائة كيلومتر جنوبي غربي عين التمر .

---

(١) وجاء رسمها في ص ١٠١ من كتابه (البادية العربية) Arabia Dezerta .

أما موقع سوى فقد قال موسل انه في (سبع بيار) على طريق السيارات بين بغداد ودمشق شرقي ضمير على مسافة مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً . والآبار في وادٍ قليل الغور ، تجف مياهها اذا استمر الجفاف عدة سنوات وهي تقع في سهل متموج ، من الصعب الاهتداء واليه . ويعرف موقع سبع أبيار برتفعين طبيعيين فوقها رجم . وقال موسل ان البدو يسمونه (سوى) بسكون أوله وأضاف موسل : انه لا يوجد ماء بين قراقر وسوى[1] .

أما وقد اهتدينا الى موقعي قراقر وسوى بالاعتماد الى ما حققه المستشرق موسل وما أكده شاهد عيان وما جاء في خريطة Persian Gulf طبع وزارة الحربية البريطانية سنة ١٩٢٤ بمقياس واحد على أربعة ملايين فقد تيسر علينا تمحيص الروايات وتفضيل بعضها على بعض .

(يتبع) ——— طه الهاشمي

---

(١) ويبدو ان موقع قراقر يعرفه البدو ولا يحتاج كشفه الى كبير عناء ولو سئل الادلاء من العقيل وغيرهم الذين يرافقون القوافل بين الشام والعراق والشام ونجد لتيسر معرفته ، لأنه على ملتقى الطرق وفيه مياه غزيرة سهلة المنال . وقد سألنا الشيخ عبد العزيز العقيلي الموظف في المفوضية السعودية في بغداد ، وقد طاف كثيراً في البادية دليلاً وساعياً وتاجراً ، عن قراقر فما ان ذكرنا له اسمها حتى قال انها بين سبع أبيار والجوف بين رابيتين ، الغربية منها سوداء ، مفتولة الرأس تسمى (مخاط) والرابية القريبة تسمى (الرَّبْدَة) . وقراقر كثيرة الآبار ، والماء قريب من سطح الأرض لا ينضب . وذكر المراحل بين قراقر وسبع أبيار وهي ست ويصفها بأنها مرحلات خفاف . وأكد بأن علامة سبع أبيار رجام أي كوسان من الحجارة والمنازل (أذنه) أي أم أذن و (كثب الشامة) وهي كثبان رملية و (تل الهبر) و (الخويمات) و (غراب الحدالي) ، ثم سبع أبيار. لم يعرف عبد العزيز اسم سوى . والمنازل تلك مسجلة في الخريطة التي رسمها موسل .
وذكر الشيخ عبد العزيز الرمانتين اللتين ورد ذكرهما في الروايات وقال انها رابيتان متقابلتان على شكل القبة يقعان بين قراقر وسبع أبيار بعد أرض الحرّة . اذن كان بالامكان معرفة موقع قراقر كما تم لنا . ولكن لم يتسن للباحثين معرفة هذا المحل الا بعد أن جال الرائد الشكوسلوفاكي موسل في البادية برفقة جماعة من عشيرة الرولة . المؤلف

سفر خالد بن الوليد
من العراق الى الشام
- ٣ -

تفضيل الروايات :

نبدأ أولاً بالروايات التي زعمت أن خالداً دخل الشام عن طريق تدمر وقد اعتمد عليها كايتاني ودي خويه كما سبق بيانه ٠

أولاً — رواية الواقدي وفيها أن خالداً خرج من سوى الى الكواثل وأتى بعد ذلك قرقيسيا وأرك ، ثم دومة الجندل فقصم فالقريتين فحوارين حتى بلغ مرج رهط والكواثل كما أثبته موسل في خريطته محل ماء واقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي (الميادين) أما قرقيسيا فهي مدينة قديمة واقعة على ضفة الفرات اليسرى في مصب الخابور وذهب موسل الى ان قصم في (خان المنقورة) على طريق (تدمر ـ دمشق) الروماني على بعد ستين كيلومتراً شرقي ، شمالي شرقي ضمير ٠ وهي Casama الرومانية ٠ وذكرها بواديبارد في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام ، بقرية النبك [1] على طريق (حمص — دمشق) الروماني ٠ وقصبة النبك واقعة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق ٠ وذكر دوسو أيضاً في كتابه « طبوغرافية سورية التاريخية القديمة والوسطى » في صفحات ٦٤ : ٦٦ ان Casama هي قصبة النبك وأثبتها في الخريطة المربوطة بكتابه [2] ٠

---

(١) المجلد الثاني لكتاب (آثر روماني في بادية الشام) يتضمن الخرائط والرسوم والصور.

(٢) Topographie Historique de La Syrie, Par René Dussaud, 1927.

لهذا ينبغي أن نعتبر قصمة أو قصم القصبة الحالية نبك على ما ذهب اليه الكاتبان الفرنسيان الاخصائيان . أما موقع أرك فقد ذكرها ياقوت في معجمه وقال هي مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر وهي من فتوح خالد ابن الوليد عندما سار من العراق الى الشام . وهي (ورك) الحالية و (Harac) الرومانية في شمالي شرقي تدمر على بعد خمسين كيلومتراً على الطريق الروماني القديم بين تدمر والرصافة . وكان فيها حصن روماني لحراسة الحدود .

ولنبحث الآن في رواية الواقدي ولنتحقق من صحتها . قال الواقدي ان خالداً خرج من سوى الى الكوائل والمسافة بينهما خطاً مائتان وخمسون كيلومتراً . والمسافة بين الكوائل وقرقيسيا ثلاثون كيلومتراً . واذا صدقنا الرواية فيكون خالد قد شرق من سوى الي قرقيسيا وبها بلغ ضفة الفرات ، ثم توجه غرباً الى أرك والمسافة بينهما خطاً مائة وخمسة وثمانون كيلومتراً . وذهب من أرك الى دومة الجندل والمسافة بينهما خطاً خمسمائة وخمسون كيلومتراً ، هذا اذا فرضنا انه توجه الى دومة الجندل رأساً ، متوجهاً نحو الجنوب قاطعاً البادية . وزعم الواقدي ان خالداً سار من دومة الجندل الى قصم والمسافة بينهما خطاً أكثر من خمسمائة كيلومتر . ولم يذهب من قصم الى مرج راهط رأساً بل توجه شرقاً الى القريتين ثم عرج على حوارين وانتهى أخيراً الى مرج راهط . والمحل هذا واقع قريباً من قرية عذراء أو عدرا الحالية على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً شمالي ، شرقي شمالي دمشق . ويبدو من المسافات التي ذكرناها ان خالداً بعد تفويزه الى سوى وقد قرب من دمشق نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً وبلغ حدود الشام شرق وغرب ونزل جنوباً وصعد شمالاً . وبذلك قطع أكثر من الف وخمسمائة كيلومتر على أقل تقدير يضاف الى ذلك المدة التي قضاها في القتال والحصار والفتح وعقد الصلح وغير ذلك من الأعمال . وقضى هذا الوقت الطويل مشرقاً ومغرباً تاركاً هدفه الأصلي وهو الاجتماع بالمسلمين في

الشام ، قبل أن يهاجمهم الروم بجموعهم . والذي يدرس الرواية على الخريطة ويثبت الأماكن يتجلى له ان رواة الواقدي حشروا في رواياتهم فتوحاً تمت على يد خالد قبل سفره من العراق وفتوحات أخرى تمت بعد انضمامه الى المسلمين واشتراكه معهم في الحروب التي وقعت سنة ثلاث عشرة هجرية . ومن المعقول أن يتوجه خالد ، بعد وصوله الى سوى ، قاصداً الى الشام ويلاقي جمع غسان في مرج راهط . لهذا اذا نقحنا الرواية من أعمال خالد قبل سفره وأعماله بعد حروبه في الشام ، تطابق الرواية الواقع وتدل على أنه خرج من سوى وتوجه الى مرج راهط .

ثانياً رواية المدائني : روى المدائني أن خالداً بعد أخذه أمر ابي بكر بالشخوص الى الشام توجه الى صندوداء فقاتل من فيها ، ثم لقي جمعاً في المصيخ والحصيد ثم فوز من قراقر الى سوى ، ثم أتى أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم حتى انتهى الى مرج راهط . وهو في طريقه هذا يقاتل ويحاصر ويصالح . وبديهي أن الذي يقرأ هذه الرواية ولا يعلم محل قراقر وسوى يظن أن خالداً سار الى الشام على ضفة الفرات اليمنى ، من ناحية البادية أي طريق القوافل من الأنبار الى السخنة فأرك ، فتدمر ، فحوارين ، فقصم وانتهى الى مرج راهط وهذه الطريق طويلة وتكثر فيها المياه .

ولنثبت المواقع التي وردت في رواية المدائني . أما صندوداء ولم يثبتها ياقوت واكتفى بذكر الوقعة ، فقال ان خالداً سار يريد الشام فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والعجم فقاتلهم . وثبت موسل صندوداء في محل المشهد الحالي الواقع شرقي الرمادي على بعد خمسة كيلومترات وذكر ابن منقذ في كتابه الاعتبار انها كانت ضاحية من ضواحي الأنبار وذكر كتاب المراصد انهـا في الضفة الغربية للفرات في أعلى الأنبار .

لم تضبط المعاجم والتقاويم المصّيخ والحُصيّد وذكر ياقوت ان المصيخ بين حوران والقلت ، وحوران هذا هو وادي حوران الذي يجري من بادية الشام ويصب في نهر الفرات بين جُبَّة وآلوس . وأضاف الى ذلك مُصَّيخ بهراء فقال ان خالداً ورده بعد سوى . وذكر عن الحصيد انه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة . وقال نصر إنه واد بين الكوفة والشام . ولكن موسل استند الى رواية سيف بن عمر الباحث عن فتوح خالد في الفرات الأوسط قبل بلوغه الشام والتي اعتبرها موثوقة لأنها تدل بجملتها على أن رواة سيف كانوا عالمين بجغرافية البلاد حق المعرفة .

ذكر موسل انه لم يجد المصيخ ولكنه ثبت موقع القلت وهو واد صغير يسمى الآن (ابو قلته) يلتقي بالفرات جنوبي هيت . والطريق بين عين التمر والسخنة يقطعه . وما دام موقع المصيخ بين القلت ووادي حوران كما أشار ياقوت أي على الطريق التي سار فيها خالد قبل التقائه بجموع تغلب في المصيخ ، فينبغي ان يكون على هذا الطريق . قال موسل انه لم يجد محلاً باسم المصيخ ولكنه وجد محلاً فيه ماء كثير ، يسمى الآن (عين الأرنب) وكان المحل هذا لقبيلة نمر ورد ذكره في الأغاني[1] . لم يثبت موسل موقع الحصيد ويظهر من رواية سيف التي عرضت لغزوات خالد بين الأنبار وجبل البِشْر أنه أقرب الى عين التمر منه الى المصيخ ، لهذا ينبغي ان يكون شمالي عين التمر وجنوبي القلت .

واذا ما درست رواية المدائني بعد تثبت موقعي صندوداء والمصيخ يتضح ان خالداً لما أخذ أمر ابي بكر لم يتوجه من عين التمر رأساً الى الشام وتوجه أولاً الى صندوداء فقاتل من تجمع فيها ، ثم توجه الى الحصيد والمصيخ ولقي جمع تغلب وغيرهم فيها وتغلب عليهم ، ثم غير وجهته وذهب الى قراقر ففوز الى سوى .

(١) البادية العربية ص (٣١٠) Arabia Dezerta .

لماذا يتوجه خالد من عين التمر الى صندوداء وقد أراده ابو بكر على الشخوص الى الشام فقطع مسافة تسعين كيلومتراً ؟ ثم توجه الى المصيخ والمسافة بينه وبين صندوداء مائة وخمسون كيلومتراً ، لأنه مرَّ ببردان والحنى كما ذكره سيف بن عمر ؛ والطريق الى المصيخ يمر بهما . والمعقول أن يتوجه خالد من عين التمر تواً الى قراقر ، ما لم تبلغه أمور تستدعي حضوره الى صندوداء ورأى انه لا بد من البت فيها قبل السفر . والمسافة بين المصيخ وقراقر خطاً نحو من اربعمائة كيلومتر . واذا وقع هذا فعلاً فإن شخوصه الى أرك بعد تفويزه من قراقر الى سوى لا يمكن قبوله على ما أشرنا الى ذلك حين نقد رواية الواقدي . لهذا ينبغي أن تعتبر أعمال خالد في صندوداء والحصيد والمصيخ أعمالاً قام بها قبل استلامه أمر ابي بكر بالسفر الى الشام . أما أعماله في أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم فلا بد أنها وقعت بعد انضمامه الى جيش المسلمين وفتح بصرى وأجنادين .

ويفهم من كل ما ذكرناه آنفاً ان زعم القائلين ان خالد بن الوليد شخص من العراق الى الشام عن طريق (أرك ـ تدمر ـ القريتين ـ حوارين) زعم خاطئ . واذا نظر المرء خريطة مواقع الرومان في بادية الشام والمصورات التي وضعها مؤلف كتاب طبوغرافية سورية في القرون القديمة والقرون الوسطى يرى أن أماكن الحصون والقلاع والمخافر التي أقامها الرومان على ذلك الطريق من الفراض الى دمشق منتشرة في شمال الطريق الروماني والى جنوبه وتكاد لا توجد قرية أو بئر الا وعليه حصن أو معقل أو مخفر . صحيح أن الروم كانوا قبل الفتوحات العربية قد تغلبوا على الفرس بقيادة الامبراطور هرقل وانهم لم يعودوا يخشون بأس الفرس ولا سيما وكانت فارس وقتئذٍ تموج بثورات داخلية وانقلابات ؛ غير ان قبائل تغلب المعادية من جهة ، وسعي الأهلين الى الدفاع عن أموالهم وماشيتهم وامداد الروم لهم من المراكز العسكرية الخطيرة كالفراض

وتدمر والرصافة من جهة أخرى لا تدعو خالداً الى المجازفة بقوته القليلة بالسير في تلك الطريق . يضاف الى ذلك أن قبائل تغلب كانت تستطيع دائماً ، كما أشار موسل ، أن تطمر الآبار في طريق خالد وتفسد ماءها .

فكيف يتسنى لخالد أن يجتاز أرضاً معادية له في سفره من الأنبار الى تدمر والمسافة بينهما خمسمائة كيلومتر ؟ واذا لم يسلك الطريق البعيدة عن ضفة الفرات ، فينبغي له أن يمر بوادي الفرات ويصطدم بالقرى المحصنة ، ويبدو من رواية الواقدي انه لم يجرؤ على مقابلة من تجمع من أهل قرقيسا بقيادة بطريقها فتركهم وانحاز الى البر . هكذا يتضح مما ذكرناه آنفاً ان الأعمال التي قام بها خالد والتي حدثت في أماكن بعيدة عن طريق سفره الى الشام سواء أكانت طريق (الحيرة ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) أم طريق (عين التمر ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) ما هي الا فتوحات وقعت قبل سفره أو بعد سفره . وقدمنا القول ان الطرق التي تقطع بادية الشام من الشرق الى الغرب لا يصح الركون اليها في سفر خالد لأن مياهها قليلة لا تستطيع الخيل أن تسير فيها .

السبب الذي حدا بخالد على التفويز :

أي الطريقين سلكها خالد ؟ طريق (الحيرة أو عين التمر ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) او طريق (الحيرة او عين التمر ـ دومة الجندل ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) . وما هو السبب الذي حمل خالداً ، بعد بلوغه قراقر ، أن يفوز الى سوى بدلاً من ان يسير في طريق القوافل المارة بوادي السر ، التي تنتهي ببصرى أو بأذرعات ؟

روى ابن اسحق أن خالداً أخذ كتاب ابي بكر في الحيرة فتوجه الى عين التمر ومنها سار الى قراقر ففوز الى سوى ثم توجه الى مرج راهط . لم يذكر ابن اسحق المنازل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر . ترى هل سار

بطريق (عين التمر ـ الأخدمية ـ الخفيـة ـ الخلط ـ قراقر) التي ذكرها ابن خرداذبه وثبتها موسل بالأسماء الشائعة الآن ، أي (عين التمر ـ شعيب الخَدَمية ـ غدير الخليط ـ خفاية لاهة ـ قراقر) ؟ ام انه سار بطريق (الحيرة ـ الرهيمة ـ البخيت ـ القراي ـ الخنفس ـ الحُسية ـ الغرنقة ـ القراقر) ، وقد ثبته موسل بالاسماء الشائعة كما يلي : (الرهيمة ـ البرّيت ـ غدير الغرابي ـ عمارة الخنفس ـ بريكة أم أحسَيّة) .

أما الطريق الأول وهو الطريق الشمالي فلا يختلف كثيراً عن الطرق الشمالية الأخرى التي تقطع البادية من الشرق الى الغرب لأن الماء فيها قليل لا يتأتى لقافلة كبيرة أن تسير عليها ، لا سيما اذا كان فيها خيل . أما الطريق الثانية فمع أنها أحسن من الطريق الأولى فلا يحتمل ان خالداً سلكها . ولو لم يذكر سيف بن عمر والواقدي وموسى بن عقبة ومصعب بن عبد الله في رواياتهم ان خالد بن الوليد مر بدومة الجندل لجاز لنا ان نميل الى أن خالداً سلكها . وقد أيد موسل ان الماء مفقود فيها في مسافة اربعمائة وخمسين كيلومتراً أي من البرّيت الى قراقر ، لهذا من المستبعد جداً ان يمر بها خالد والموسم كما سيتضح لنا بعد حين ، ليس موسم امطار . اذن لم يبق الا طريق (الحيرة ـ دومة الجندل ـ قراقر ـ سوى ـ مرج راهط) والقسم الأول منه الى قراقر تسير فيه القوافل وفي منازله مياه كثيرة في الآبار والبركات الكبيرة . انه طريق طويل ولكنه امين .

قلنا ان ابن اسحق لم يذكر في روايته المراحل بين عين التمر وقراقر ويدل هذا السكوت على ان خالداً مر بالطريق العادية اي طريق (الحيرة ـ دومة الجندل ـ قراقر) بحيث لم ير الرواة حاجة لذكر المنازل لأنه لم يحدث فيه احداث من قتال او فقدان ماء مما يستدعي ان تبقى محفوظة في محفوظ الرواة

فينقلوها ولا سيما اذا اعتبرنا ان فتح عين التمر الذي ذكره ابن اسحق تمّ قبل ان اخذ خالد كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام ٠

وهذه الطريق تبدأ من الحيرة مارة بالرهيمة والقرعاء ووقصة وحبكة والصوير وسكاكة والقارة وتنتهي بدومة الجندل ، ثم تمر بوادي السر الى قراقر ٠ والقرى والمياه موفورة في الوادى الذي يعد من الواحات المشهورة في بادية الشام لكثرة المياه فيه ٠ وتبلغ المسافة من الحيرة الى قراقر اكثر من ستمائة وخمسين كيلومتراً ٠

ما هو السبب الذي حدا بخالد على ان يترك الجادة بين دومة الجندل وبصرى وهو الطريق الممتدة نحو الشمال الغربي وينحرف من قراقر الى الاتجاه الشمالي ويفوز الى سوى في ارض : « اذا ما سار فيهـا الجيش بكى ما سار فيها من قبل إنسي يرى »

ويبدو من رواية ابن اسحق ان الدليل (رافع) حذّر خالداً من اجتياز هذه المفازة وقال له : « انك لم تطق ذلك بالخيل والأثقال ٠ والله ان الراكب المفرد ليخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مغوزاً ؛ انهـا خمس ليال جياد ، لا يصاب فيها ماء مع مضلتهـا ٠ » ٠ وعلى الرغم من تحذير رافع هذا لخالد فانه أصرّ على رأيه ٠ ويتضح من رواية سيف بن عمر ان رجال خالد بعد ما سمعوا أقوال رافع ترددوا ، الى أن قام خالد بهم خطيباً ، مشحذاً لهمتهم ٠ لم يذكر ابن اسحق سبب انحراف خالد عن الجادة ولكن سيف بن عمر ذكره بقوله ان خالداً كان يريد طريقاً يخرج به وراء الروم ولا يريد ان يستقبلهم فيمنعونه من غياث المسلمين ٠

لا نعلم على وجه الصحة المواقع التي كان المسلمون مجتمعين فيهـا في الشام أثناء سفر خالد ٠ والذي أثبتته الروايات ان خالد بن الوليد لما خرج من مرج راهط وانتهى الى قناة بصرى التقى بالمسلمين فيها ٠ واختلفت الروايات فيمن كان

حاضراً في بصرى . فابن اسحق روى ان اباعبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان كانوا على بصرى . اما رواية سيف بن عمر فتنص على ان خالد بن الوليد ، وحده فتح بصرى . ولم يذكر الواقدي من كان من المسلمين في بصرى واكتفى بأن قال انه قيل ان خالداً أتى الجابية وبها ابوعبيدة في جماعة ، فالتقيا ومضيا جميعاً الى بصرى . وأما المدائني فتنتهي روايته بوصول خالد الى مرج راهط ، وروى موسى بن عقبة ان خالداً قدم الشام وبه يومئذٍ ابو عبيدة . واكتفى اليعقوبي بقوله ان خالداً بعد ان فوز وافى المسلمين فافتتحوا بصرى . وروى اللالطائي ان خالداً خرج من ضمير فوجد المسلمين في الجابية . وذكر ابن عساكر ان ابا بكر أمر خالداً ان يأتي الشام فيلقى بها اباعبيدة ومن معه من المسلمين . واكتفى ابن خلدون بالقول ووافى خالد المسلمين مكانهم عندما وصل ماهان الروم ايضاً .

لا جرم ان من الصعب اثبات مواقع جند المسلمين في الشام اثناء سفر خالد . اما ان يكون جند المسلمين في الجابية حين وصول خالد الى الشام فلا نحسب انه صحيح ، ومن أشاروا الى ذلك كانوا رواة جعلوا معركة اليرموك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وذكروا أنها كانت بعد وصول خالد الى الشام . على حين ثبت ان معركة اليرموك وقعت في سنة خمس عشرة وان معركة اجنادين وقعت في جنوبي فلسطين سنة ثلاث عشرة ، أي بعد نجدة خالد جيش المسلمين[1] . ورواية أن اباعبيدة كان في بصري قبيل وصول خالد اليها ، رواية تحتاج الى تمحيص ، لأن خبر مجيء ابي عبيدة الى الشام في سنة ثلاث عشرة غير متفق عليه . والثابت ان ابا بكر أوفد اباعبيدة الى الشام بعد تسريح الجنود اليها بمدة غير قصيرة . وهناك ما يشير الى أن ابا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة فاستعفاه من ذلك .

(١) أفضنا في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، (العدد الثاني) .

ذكر البلاذري ان الثابت ان عمر ولّى اباعبيدة الشام كله حين استخلف ·
ومن المعلوم ان عمرو بن العاص لما لقي مقاومة عنيفة في جنوبي فلسطين انسحب الى الغمر ، الواقع في وادي العربة في انتظار ورود المدد ؛ ولعل شرحبيل بن حسنة الذي وجهه ابو بكر الى كورة الأُردن كان معسكراً قريباً من الغمر ·
أما يزيد بن ابي سفيان الذي وجهه أبو بكر الى البلقاء فكان يقيم مع جنده فيها ، ينتظر ورود خالد · لهذا نحسب ان خالداً عندما وافى قناة بصري كان يزيد بن أبي سفيان قد وصل اليها بعد أن بلغه خبر وصول خالد الى الشام ·
ويجوز ان خالداً بعد وصوله مرج راهط وتغلبه على الغسانيين أرسل رسولاً الى يزيد بن أبي سفيان وطلب اليه أن يتقدم نحو بصرى ·

يتراءى لنا أن جند العرب كانت معسكرة في شرقي الأردن من الغمر الى البلقاء · وفي رواية سيف بن عمر أن خالداً كان يريد أن ينفذ الى الشام من محل ليس للروم فيه معاقل وحصون حتى لا تحبسه عن نجدة المسلمين ·
وقد يسأل سائل لماذا لم ينفذ خالد الى المسلمين ، اذا كان يعلم انهم مرابطون في شرقي الأُردن ؟ فيتوجه غرباً من الطريق الأقصر ، والمسافة بين قراقر وموآب (قرب الكرك) مائتان وستون كيلومتراً أي من أربع مرحلات ·
ويدل صدوف خالد عن الذهاب الى موآب انه علم ان المسلمين لم يكونوا فيها ، وانما تقدموا الى الشمال ·

ولا يستطيع خالد أن ينفذ الى المسلمين من هذا الطريق من دون ان يصطدم بالحصون والقلاع والمخافر التي كانت تحمي شرقي الأُردن من جهة البادية ·
ولم تكن هذه البلاد وقتئذٍ تحت سيطرة المسلمين لأنهم كانوا في بداية الفتوح ·
ويظهر من الروايات ان قصبة موآب لم تفتح الاّ بعد سقوط بصرى · أضف الى ذلك أن الروم بعد اصطدامهم بالمسلمين في جنوبي فلسطين لا بدّ انهم احتاطوا فسدوا منافذ البادية من جهة الشرق وحثوا أهل البلاد على الدفاع عنها بالاشتراك

معهم . لهذا لا يعقل ان خالداً بعد وصوله الى قراقر متكتماً ، يقتحم بلاد الشام في منطقة لا بد له من الاصطدام بحصونها ومناجزة أهلها . ويتضح من عزمه على النفوذ الى الشام بطريق (قراقر ـ سوى) انه كان يرى مباغتة الروم في النفوذ اليهم من باب لم يتوقعوا ان يتسلل المسلمون منه .

ذكر موسل في كتابه البادية العربية [١] : ان البدو يدخلون الشام من بادية الشام من منفذين : المنفذ الاول في جنوبي غربي بصرى وجبل حوران ، والثاني في شمالي شرقي دمشق بين سلسلة الرواق وتلول الاعطيات . وفي المنفذ الأول تحدد شعبان الزرقاء من جهة وجبل حوران من جهة أخرى حركة البدو . لقد اختط خالد في اول الأمر ان يدخل سورية من المنفذ الأول ، ولما علم ان العدو يسدّ منافذه غيّر اتجاهه الى المنفذ الثاني أي انه بمروره بطريق (الحيرة ـ دومة الجندل) [٢] أراد أن يسلك وادي السر حتى يبلغ أذرعات وهي باب الشام من الجنوب الشرقي .

وأذا سهل الوصول الى المنفذ الأول بالمرور من وادي السرحان وفيه مياه كثيرة ، فمن المتعذر الوصول الى المنفذ الثاني الا بعد هطول أمطار غزيرة في الشتاء تملأ الأودية والجوابي . شمخ جبل حوران بقممه بين المنفذين المذكورين، في شرقه المنطقة البركانية المخيفة التي قامت حافتها سوراً أسود يتجه في سمت الشمال .

ويبلغ عرض المنفذ الأول نحو ثلاثين كيلومتراً يحده من الغرب جبال الزرقاء الوعرة ومن الشرق الحمم البركانية ولقد شيدت قلعتا بصرى وعمان وأقيمت حصون الحراني والأزرق والحلاّبان للدفاع عنه . وكان الروم يحتلون

---

(١) البادية العربية Arabia Dezerta ص (٥٥٧ — ٥٥٨ — ٥٥٩) .

(٢) تشير رواية عبد الوهاب بن مبارك الى ان خالداً سار من الحيرة الى قراقر بطريق دومة الجندل ، ابن عساكر : الجزء الثاني (ص ١٢١٩) .

هذه القلاع والحصون ، وكان العرب المتنصرة يرابطون في أطرافها . ولا بد من أن خالداً علم ذلك من عيونه .

يقع ماء قراقر على الطريق الموصل الى المنفذ الأول ، بينما تقع سوى على الطريق الموصل الى المنفذ الثاني . والذي يسير من قراقر الى سوى يتوجه أولاً الى الشمال الشرقي ويسير خمسين كيلومتراً في منطقة بركانية ، ثم يجتاز مفازة طولها خمسة أيام متوجهاً الى الشمال من دون انحراف . وفي الأيام الأربعة الأولى يشاهد المسافر عن يساره كتلاً من الحمم ، قامت فيها قنن منفردة ، وعرة تهدي خطاه . وفي بداية اليوم الخامس يرى ان الحمم توجهت الى الشمال الغربي نحو المنفذ الثاني . وينبغي له هنا ان يترصد الأطراف بدقة للعثور على الوادي الضحل وفيه آبار (سبع بيار) .

ويظهر مما ذكره موسل ان للقادم من بادية الشام منفذين للدخول الى أرض الشام ، منفذ جنوبي بين جبل حوران في الشرق وجبل عجلون في الغرب ومنفذ في الشمال بين سلسلة الرواق الممتد نحو الشمال الشرقي من ضمير الى تدمر وبين الحرّات التي تبدأ من جنوبي ضمير وتمتد الى الجنوب موازية جبل حوران حتى جنوب قراقر . ويستطيع المسافر المنفرد أو جماعة ان يدخل الى بلاد الشام من محال أخرى ولكن قوة كبيرة فيها فرسان على ظهور الخيل لا تنفذ الى الشام إلاّ من المنفذين المذكورين لأن طريق دومة الجندل وطريق تدمر هما طريق القوافل لنقل التجارات بين العراق والشام .

ويلوح لنا أن خالد بن الوليد اعتزم حين استلامه أمر ابي بكر أن يسير الى الشام من طريق دومة الجندل وكان قد افتتحها في السنة الماضية ووطد أقدام المسلمين فيها ولا بدّ أن أهلها ذكروا له أخبار القتال في جنوبي فلسطين وحشد الروم جيوشهم واستنفارهم للغسانيين . والعرب المتنصرة الآخرين وانزالهم للمرتزقة العرب في بعض الأماكن والحصون . لقد ذكر ثئوفانوس ان العرب كانوا

نافرين من بيزنطية لأنها قطعت أعطياتهم بسبب ضعف المالية في الامبراطورية بسبب حرب الفرس . وزعم ان هذه النفرة ساعدت المسلمين على فتوحاتهم . صحيح ان بيزنطية لم تكن في وضع مالي حسن وانها لم تستخدم المرتزقة كالسابق بعد انتصاراتها العظيمة على الفرس في عهد هرقليوس ولكنها حين علمت بغزو العرب جنوبي الشام كان ينبغي لها ان تستخدم بعض المرتزقة وتقدم الأعطيات للغسانيين وغيرهم ممن خدموها في حروبها مع الفرس . وهناك روايات تشير الى ان خالد بن سعيد حينما توغل في مشارف الشام من دون أن يحتاط ، باغته العرب من مناصري الروم وهزموه . ولا يستبعد أن خالداً علم من أهل دومة الجندل أخبار الروم فأدرك أن الدخول الى الشام في المنفذ الجنوبي صعب وأنه ليس من الحزم المجازفة بقوته في اختراق الحصون التي توصد في وجهه باب ذلك المنفذ ، كقلعة بصري وغيرها . ولعل أخبار الروم وصلته في طريقه من دومة الجندل الى قراقر ، لأن أهل وادي السر كانوا على اتصال مستمر بالشام . ولما وصل قراقر اختمرت في رأسه فكرة الدخول الى الشام من منفذ آخر يخرج منه وراء جموع الروم ، فطلب الى الدليل رافع بن عميرة الطائي أن يدله على الطريق ، فعزم أن يقطعه رغم الصعوبات التي سيلاقيها في طريقه هذا . ونشأت الصعوبة في قطع المفازة بين قراقر وسوى في تدبير الماء للخيل لأنه ليس في المفازة ماء ولأن الوقت ليس موسم الأمطار كما سيظهر لنا .

كيف دبر خالد أمر الماء في قطعه المفازة ؟

لقد دُبّر أمر الماء على الطريقة التي كانت شائعة في غزوات البدو . والبدو كان من عادتهم اذا اضطروا الى اجتياز مفازات في غزواتهم يجعلون أجواف بعض إبلهم مخازن ماء سيارة ، لا سيما اذا أرادوا أن يباغتوا عدوهم ويخرجوا اليه من أماكن لا يتوقع خروجهم منها . وطريقة تدبير الماء تتلخص

في ارواء الجمال العظام ، السمان المسنة ، بعد أن يظمأن أو يجهدهن العطش وذلك بسقيهن نهلاً وعللاً ، ثم بشد أفواههن حتى لا يجترن فيفسدن ما في كراشهن من الماء .

وفي هذا الصدد ذكر موسل [1] ما يلي : «ان البدوي اذا أراد أن يهيج ظمأ الناقة يأخذها الى محل الماء ويعقلها قريباً منه ويصب الماء في الوعاء الذي تشرب منه ، ثم يضرب الماء براحته ، ويحرضها على الشرب بالشدي (أغنية قصيرة) وبتصفيق خاص . ترى الناقة كل ذلك وتسمعه ولكنها لا تستطيع الوصول الى الماء ، لهذا تمد أذنيها شوقاً الى الماء .. يتدرب كثير من الإبل بهذا التحريض والتصويت وهي تفهم بسليقتها انها تعدّ لسفر طويل في صحراء قاحلة وان عليها أن تشرب وتعبّ كثيراً . واذا عقلت النوق وسمعت ما اعتادت سماعه من التصفيق والغناء مدت آذانها نحو الماء وأظهرت لهفتها الى الماء بأنين خاص . وبقدر ما يكون الماء قريباً منها فان المرحلة أمامها طويلة وانها لن يعثر فيها على ماء . واذا أحلّ عقالها أسرعت الى الوعاء وشربت جرعات طويلة كبيرة . فيصب صاحبها الماء في الوعاء ما دامت تشرب . ثم يبعدها عن الماء ويتركها ترعى .. ولشدة ما يجهدها العطش ، تختلج ، ثم يفك عقالها فتشرب مرةً أخرى . وبهذه الطريقة تشرب الناقة السمينة العظيمة من ستين الى سبعين لتراً من الماء . وأخيراً يشد افواهها لكيلا ترعى وتجتر فيختلط الماء بالكلأ في أكراشها» . هكذا تُسقى في المرة الأُولى نهلاً وفي المرة الثانية عللاً .

ويتضح مما قاله موسل ان كايتاني لم يصدق الروايات القائلة بشق كراش الإبل في كل يوم وشرب ما في كراشها رغم اجماع الرواة . وعد خبر الروايات هذه من نسج الخيال ، وقال انه اذا كان الغرض هو حمل الماء ، فلا حاجة لهذا العمل الفظيع ، لأن الجمل يحمل على ظهره من الماء أكثر مما يشربه مرات .

(١) البادية العربية ، ص (٥٧٠) .

ولكن موسل شجب قول كايتاني قائلاً : ان كايتاني نسي ان القرب كانت مفقودة عند خالد ، لأنه حينما غادر الحيرة لم يأخذ القرب معه ، لأن الطريق التي سار بها من الحيرة الى قراقر كانت عامرة بالمياه للرجال والخيل والجمال . ولكنه حينما اعتزم في قراقر أن يفوز الى سوى كان لا بد له من أن يفكر في سقي الخيل في المفازة لأنها لا تتحمل العطش .

والإبل اذا سقيت نهلاً وعللاً على الطريقة المذكورة فانها تتحمل العطش . وفي وسع الرجال أن تحمل ماءها على ظهور دوابها . وليست قراقر بلداً توجد فيه القرب وفيها الماء فقط . لهذا استعمل خالد الطريقة الشائعة في البادية . ويبدو مما ذكره موسل أنها لا تزال شائعة عندهم . واذ لم تكن القرب متيسرة في قراقر حملت الإبل الماء في جوفها بدلاً من أن تحمله على ظهورها . وذكر موسل انه ليس في عمل خالد ذلك شيء يستدعي العجب ، لأن قوته كانت بحاجة الى الطعام ؛ فالإبل التي تنحر وتشق بطونها يأكل الجند لحومها . أما الماء الذي يستخرج من كراشها فبعد ركوده يصلح لشرب الخيل واذا ما مزج بلبن النوق كما أشار اليه سيف بن عمر في روايته يشربه الرجال .

واذا كان عدد الإبل التي استخدمت للماء وللنحر خمسين دابة وشرب كل منها ستين ليتراً من الماء فتكون قد حملت ثلاثة آلاف لتر من الماء ، أي مايكفي لارواء مائة جواد خمسة أيام . وأضاف موسل قائلاً ان أرض المفازة اذا أمطرت في الشتاء يسقط الجواد على الكلأ وهذا ما يجعل ستة لترات من الماء ترويه يومياً .

وبعد أن دبر خالد أمر الماء تقدم نحو سوى . لم يذكر ياقوت اسم سوى . أما البكري فقد رسم سوى بفتح أوله ؛ ويظهر مما كتبه انه ماء ولكنه لم يحدد موقعه . وفي بيت للنابغة انه في ديار كلب :

نجالة الذنابة أو سوى مضنة كلب من مياه المناظر ؟

وقد جعله موسل كما تقدم في أرجاء سبع بيار على طريق السيارات بين الرطبة وخان ابي الشامات . وقد شيد الافرنسيون فوق الرابية المشرفة على الشعيب مخفراً للدرك . والمخفر يرى على يمين الطريق للقادم من الرطبة والبدو يلفظونه كما رأى موسل بسكون أوله . وفي رواية لسيف بن عمر ان مُحرِز بن جريش المحاربي ولعله من أهل تلك الديار قال لخالد : « اجعل كوكب الصبح على جانبك الأيمن ، أمه تفض الى سوى . » وقد أكد عبد العزيز العقيلي ان المسافر من قراقر اذا وضع نجمة الصباح على جانبه الأيمن يصل الى سبع بيار .

(يتبع) طه الهاشمي

---

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

سفر خالد بن الوليد

من العراق الى الشام

- ٤ -

المفازة :

ومن الطبيعي ألا تشير الروايات الى المراحل بين قراقر وسوى لأن الأرض بينهما مفازة ، لا ماء فيها ولا سكن ، وهي غير مستطرقة . وفي رواية للسمرقندي نقلها ابن عساكر ، اسماء بعض المراحل بين قراقر وسوى . ذكرها موسل في كتابه [1] . وجاءت هذه الرواية مضطربة ترجمتها كما يلي :

« سار خالد من قراقر الى (سوطه) فجعل المشرق عن يمينه ومر بـ (آلـذن) ونزل في (فرقين) . ثم في (الحصد) ، ثم في (العيرد) ، ثم في (سوعبّل) . قال : ونزل سيف بن عبد الله بن مُحضّر عمن حدثه » . هـذا نص رواية عبد الله بن محضر وهي مرتبكة ، لم نعثر على هذه الرواية في أجزاء ابن عساكر المطبوعة . لهذا كتبنا الى الأستاذ شكري فيصل نرجوه نقل الرواية المذكورة من النسخ الخطية المحفوظة في خزائن القاهرة فتفضل وأرسل الينا الرواية المذكورة أخذاً من نسخة خزانة طوبقبو في استانبول ، وهذا نصها :

« فأخذ (خالد) من قراقر الى (شرطه) فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل (قريتين) ثم نزل (الحقار) ، ثم نزل (العوير) ثم نزل سُوا سلمل .. » .

---

(١) بادية العرب ، (ص ٥٥٩) .

ولما وصلتنا المجلدة الاُولى من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر بتحقيق الاُستاذ صلاح الدين المنجد وجدنا الرواية المذكورة في الصفحة (٤٦٥) كما يلي :

«أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي . . . . عن ظفر بن دهي بمثله . وقال فأخذ من قراقر الى سوكه فجعل المشرق عن يمينه واستقبل الصبا فنزل قريتين ثم نزل الحقار ثم نزل العرير ثم نزل سوى بليل . قال : ونا سيف عن عبد الله بن مُحَضَّر بن ثعلبة عمن حدثه» .

فالفرق بين الرواية التي نقلها موسل والرواية الآنفة الذكر كما يلي : أما (شرطه) او (سوكه) فينبغي أن تكون (سوى) حرفها النساخ خطأً . والمنزل الاُول في رواية موسل (ألـذن) ولم يرد ذكر هذا المنزل في الرواية المذكورة في المجلدة الاُولى . والمنزل الثاني في رواية موسل (فرقين) ، بينما ورد في رواية المجلدة الاُولى (قريتين) . والمنزل الثالث في رواية موسل (حصد) ، بينما ورد في رواية المجلدة الاُولى (الحقار) . والمنزل الرابع في رواية موسل (العـزد) وفي رواية المجلدة الاُولى (العرير) . انتقد موسل تلك الرواية وأشار الى أن فيها تقديماً وتأخيراً ، والأعلام الواردة فيها أماكن مرّ بها خالد قبلاً وقال ان فرقين ينبغي أن تكون محرفة من قرقيسيا والحصد محرفة من الحصيد ، أما سوعبل وفي رواية المجلدة الأولى (سوى بليل) فهي مزج آخر جملة بأول جملة ، لأن الخبر أتى كما يلي : ثم سوعبل قال ونزل ، لهذا ينبغي أن يكون الخبر قال ونزل بسوى ، فتصبح الرواية كما يلي :

« قال عبد الله بن محضر عمن حدثه أخذ خالد من قراقر الى سوى ، فجعل المشرق عن يمينه ومر بألـذن ونزل في فرقين ، ثم في الحصيد ، قال ونزل بسوى » .

ولعل (فرقين) هي القريتين كما جاء في رواية المجلدة الاُولى ، ولعل (الحقار) تحريف النساخ لكلمة الحصيد . أما العرير فلم نتثبت من محلها ولعل النساخ حرّفوها .

وقد ذكرت الروايات ان خالداً اجتاز المفازة في خمس ليال وذكر اليعقوبي في ثمانية أيام ؛ والقصد من خمس ليال ست مراحل لا كما قال بعض المؤرخين بأنها خمس مراحل . قضى خالد في المفازة خمس ليال ووصل في اليوم السادس الى سوى . أما الثمانية أيام التي ذكرها اليعقوبي فستة أيام منها في قطع المفازة واليومان الأخيران بين سوى ومرج راهط ، والمسافة بينهما مائة وخمسة وعشرون كيلومتراً أي مرحلتان . وبما أن المسافة بين قراقر وسوى نحو من ثلثمائة كيلومتر، فانها تقطع في ستة أيام خفاف .

ذكر الشيخ عبد العزيز العقيلي الذي اجتاز مفازة قراقر وسوى مرات ان المسافر يقطعها في ست مراحل خفاف . المنزل الأول (أذنه) ، ورد اسمها في خريطة موسل (ام اذن) الى شمالي شرقي قراقر على بعد ثلاثين كيلومتراً ولعلها (أل ذن) الذي ورد ذكرها في رواية السمرقندي الآنفة الذكر . وصفها الشيخ عبد العزيز انها حجارة سوداء تؤلف تلاً في سهل ، أي الحمم التي أشار اليها موسل . والمنزل الثاني في أرض دُقرة بين تلي (أبي راسين) و (الأقرن) وبين (كثب الشامة) وهي كثبان رمال وقد جاء اسم (كثب الشامة) هذه في خريطة موسل ؛ والمسافة بينها وبين أم اذن ثلاثون كيلومتراً والأرض الدقرة التي أشار اليها عبد العزيز هي الأرض البركانية ، ذكرها موسل قائلاً : « يجب على المسافر أن يتوجه من قراقر في أول مرحلة الى الشمالي الغربي ويقطع أرضاً بركانية طولها خمسون كيلومتراً لهذا ينبغي أن تكون (كثب الشامة) المنزل الأول . والمنزل الثالث كما ذكره هو (تل الهبر) ووصفه بأنه تل أسود على الحدود الأردنية — السعودية من غربه . وقد جاء اسمه فى خريطة موسل والمسافة بينه وبين كثب الشامة خمسة وعشرون كيلومتراً . والمنزل الرابع حسبما ذكره العقيلي قاع (ابو الحصين) في غربه الحرّة وفي شرقه (وديان الرويشدات) . سجل موسل في خريطته على غربي الطريق شعيب

(رُوَيْشد ابو حفنة) وهو على بعد خمسة وسبعين كيلومتراً وفي جوارها مقور مياه تسمى (الخويمات) تكون في أرض بيضاء . والخويمات هذه واقعة الى جنوبي (شعيب حفنة) على عشرين كيلومتراً . والمنزل الخامس (الحدالي) وهي عبارة عن قارتين صحراويين ويرى جبل الغراب في الغرب من بعيد ، وجاء اسمه في خريطة موسل (غراب الحدالي) وهو جبل أسود الى غربي الطريق بعد عطفته الى الشمال الغربي . أما المنزل السادس فهو سبع أبيار . وطولها من الحدالي سبعون كيلومتراً . وفي خريطة موسل محل على الطريق في المكان الذي ينعطف فيه الطريق الى الشمال الشرقي نحو سبع أبيار يسمى (الجويف) ومنه يتشعب طريق الى (خان عنيب) الواقع على طريق (تدمر — دمشق) .

متى سافر خالد من العراق ؟

ثبتنا الطريق التي سار فيها خالد برجاله ، نعود فنبحث عن الوقت الذي سافر فيه :

ذكرنا فيما سلف أن خالداً تسلم أمر ابي بكر في أواخر المحرم سنة ثلاث عشرة وأشرنا الى أن أوثق الروايات تؤكد بأنه أغار على الغسانيين في مرج راهط في عيد فصحهم أي في ٢٤ ـ نيسان ـ سنة ٦٢٤ . ولا بد أن خالداً قضى بضعة أيام في انتقاء رجاله وارساله النساء والضعفاء الى المدينة والاستعداد للسفر ، لهذا يصادف مغادرته للحيرة في أوائل شهر صفر أي في منتصف شهر آذار .

فقد روى المدائني انه غادر العراق في ربيع الثاني سنة ثلاث عشرة ، ويصادف يوم ٢٤ ـ نيسان ـ ٦٢٤ = ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣ . وهذا التاريخ ثبت . اذن ما معنى ربيع الثاني الذي ذكره المدائني وأيده البلاذري ؟ لأن تاريخ وقوع معركة أجنادين الذي أيده أكثر ثقاة الرواة والاخباريين يعارض التاريخ الذي ذكره المدائني . وقعت معركة اجنادين في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ .

والطريق الذي سلكه خالد لا يمكن أن يقطعه في أقل من خمسة وعشرين يوماً ٠ وقد قضى عدة أيام للوصول الى بصرى بعد ضربة الغسانيين في مرج راهط وفتحه مدينة بصرى ، ثم توجه الى الجنوب للانضمام الى جند عمرو بن العاص ٠ والمسافة من بصرى الى الغمر الذى قيل ان عمرو بن العاص كان يرابط فيه لا تقل عن ثلثمائة وخمسين كيلومتراً ، ومن الغمر الى أجنادين نحو من مائة كيلومتر ٠ ولا شك أنه صادف في طريقه عقبات أخرته عن المسير ، والمعقول أن لا يتم كل ذلك في شهر واحد ٠٠ ومن أجل ذلك ليس لنا الآن أن نؤيد ما أورده موسل من أن الربيع الآخر الذي أشار اليه المدائني هو موسم الربيع لا الشهر القمري ٠ وذكر موسل ان كيتاني أخطأ حين اعتبر تاريخ المدائني أساساً للبحث ، ويذهب موسل الى أن موسم الربيع عند البدو يقسم الى شطرين ، والمدائني أراد بربيعه الثاني أن يشير الى الشطر الثاني من موسم الربيع ، أي أن سفر خالد من الحيرة حتى وصوله مرج راهط وقع على ما يظهر في الشطر الأول وقسم من الشطر الثاني لموسم الربيع ٠ وما برح البدو يسمون الخريف بصفر الأصفار ٠ وذكر موسل أنه يمتد ثلاثة أشهر أي ايلول وتشرين الأول وتشرين الثاني ٠ ولعل شهر صفر الذي ذكره سيف بن عمر في رواياته عن فتوح خالد في العراق هو صفر الأصفار لأنه حشد في شهر صفر هذا كثيراً من الحوادث التي لا يمكن أن تجري في شهر واحد ٠

اذن فلنا أن نعتبر سفر خالد من الشام قد جرى في النصف الأخير من شهر آذار سنة ٦٢٤ وانه قضى في الطريق أكثر من شهر ، لأنه لم يجهد خيله ورجاله في الطريق صيانة لهم واستعداداً للقتال في الشام ، فرتب مسيره بأن قطع في اليوم خمسين كيلومتراً ، وقضى عشرين يوماً بين الحيرة ودومة الجندل وخمسة أيام بين دومة الجندل وقراقر ، وستة أيام بين قراقر وسوى ، ويومين بين سوى ومرج راهط ، يضاف الى ذلك يوم أو يومان قضاهما في سوى

وأطرافه ، وبذلك يكون قد قضى نحواً من خمسة وثلاثين يوماً في سفره ، ترك الحيرة حوالي ٢٠ آذار ووصل مرج راهط في ٢٤ نيسان ٠

خالد في سوى :

لم يعثر خالد على الماء في سوى بسهولة ٠ والروايات جميعها تشير الى أن موقف خالد في سوى كان حرجاً ٠ لقد نفد الماء بنحر الجزور ، وليس هناك ما يدل على أن الماء موجود في سوى ٠ ومما زاد في حراجة الموقف رمد الدليل رافع الطائي وهو على ما ذكرته الرواية كان ورد ماء سوى قبل ثلاثين سنة وهو غلام وبعد أن ضرب الناس يمنةً ويسرة عملاً باشارة رافع عثروا على جذع العوسجة ٠ فاحتفروا الأرض بجوارها ووجدوا الماء وارتووا ٠ قال موسل : « ان آبار سبع أبيار (وهي سوى) في منتهى شعيب ضحل ٠ تحتفظ بالماء ثلاث أو أربع سنوات عقبى أمطار غزيرة في الشتاء ، وأرباب الرحلات لا يعتمدون عليها الا فيما ندر ، ولا يرون بها الا قليلاً ويتركونها ، وتكاد الرمال تطمرها »[1] ٠ ثم أضاف قائلاً ان رافعاً من قبيلة طي وبلاد طي واقعة الى جنوبي سوى على مئات من الكيلومترات ولعلهم كانوا وما يزالون يطلبون سوى في غزواتهم ، لذلك ان خبر جذع العوسجة خبر صحيح ٠ ومن الروايات ما أشارت الى ان خالداً باغت جمعاً من بهراء في سوى ، كانوا يشربون ومغنيهم ينشد الأبيات التالية :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر   لعل منايانا قريب ولا ندري

فقتلهم وسبى ٠ وفي روايات أخرى أن الحادث المذكور وقع في المُصيخ قبل سفر خالد من العراق ٠ وفي رواية الهيثم بن عدي أن الحادثة وقعت في البشر ٠ ومن الروايات ما تجعل الوقعة في مصيخ بهراء في أطراف سوى ٠ والبيت يدل على ان الحادثة وقعت في المصيخ شمالى عين التمر ، قبل سفر خالد لأن المغني

(١) البادية العربية : (ص ٥٥٨) ٠

كان يجهل قدوم جيش خالد من قراقر ، وقد احتاط خالد في اجتيازه المفازة ليباغت الشام ؛ فضلاً عن أنه يصعب تصديق رواية وجود جمع بهراء في سوى . وقد اتضح أن المسلمين حفروا الأرض واستخرجوا الماء منها . ولا يستبعد ان خالداً بعد وصوله الى سوى وأثناء اقامته فيها أرسل رجالاً من أصحابه ليغيروا على الأطراف ويحصلوا على الطعام . فأغار هؤلاء على جمع من بهراء في أطراف سوى .

واذا كان خالد عازماً على مباغتة الروم في دخوله ارض الشام وجب عليه ألا يطيل المقام في سوى ولا يضيع وقته في شن الغارات ، كما أشارت اليه بعض الروايات ، لأن في ذلك مضيعة للوقت ، واطلاع العدو على محله . لهذا من المحتمل جداً أنه قضى مدة قصيرة في سوى للراحة ، ولم يكشف عن محله ، فتوجه الى الشام من الطريق الأقصر وهو الذي يمر بضمير وينتهي بعذراء . ولا سبيل له أن ينفذ الى الشام من محل آخر . وسبب ذلك ان سلسلة رواق تسد الطريق من الشمال وحرة تلول الاعطيات من الجنوب وبحيرة عتبة وبحيرة الهيجانة من الغرب والأرض بين البحيرتين المذكورتين في الربيع كثيرة المستنقعات يصعب اجتيازها . ويبدو من ذلك أنه ليس لخالد الا أن يتوجه من سوى رأساً الى عذراء ويباغت من فيها والمسافة بينهما مائة وعشرون كيلومتراً ، أي مرحلتان . ويظهر من الروايات أن المياه كانت متوفرة في الطريق المذكور . وقد ذكر ابن اسحق في روايته أن الطريق استقامت بخالد بعد سوى وتواصلت المياه حتى مرج راهط .

وجاء في رواية لسيف بن عمر ما يلي :

« ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها وغارته على مصيخ بهراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرج راهط . وبلغ ذلك خالداً وقد خلف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك صمد اليهم . فخرج من سوى بعدما رجع اليها بسبي بهراء فنزل الرمانتين علمين على الطريق ، ثم نزل بالكثب حتى صار

الى دمشق ، ثم مرج الصفر ، فلقي عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم ، فانتسف عسكرهم وعيالاتهم ونزل بالمرج أياماً ، ثم خرج منه حتى ينزل بقناة بصرى ، فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد فيمن معه من جنود العراق . وخرج منها فوافى المسلمين بالواقوصة فنازلهم بها في تسعة آلاف ..»[1] .

ورواية سيف هذه هي الرواية الوحيدة التي تشرح قصة سير خالد من سوى الى مرج راهط ، وتشير الى ان الغسانيين استخبروا وصول خالد الى سوى . أما ما جاء فيها من اغارة خالد على مضيخ بهراء ـ والصحيح (المصيخ) ـ فخبر يشير الى اغارة خالد على بني تغلب في المصيخ حينما قدم اليها من عين التمر وذلك قبل سيره الى الفراض ، أي قبل استلامه كتاب ابي بكر . والمصيخ هذا كما بينا يقع الى جنوبي وادى حوران وقد ثبته موسل في عين الأرنب . لهذا لا يعقل أن خالداً بعد وصوله الى سوى وقد وصل حدود الشام يشرق ويجتاز البادية مرةً أخرى ويذهب الى المصيخ للاغارة على أهله . والمسافة بين سوى والمصيخ نحو من أربعمائة وخمسين كيلومتراً والماء مفقود في الطريق وقد يقضي في الذهاب والاياب أكثر من عشرة أيام .. الا اذا كان هناك مصيخ آخر في جوار سوى ، يرجع لبهراء . وقد يكون المصيخ وصفاً لبعض أشكال الأرض كالكثيب والقلت والثنى أو الثنية وغير ذلك[2] .

وقد أشرنا قبلاً أن مبدأ المباغتة يتطلب من خالد ألاّ يقدم على حركات عسكرية بعد وصوله سوى ، وليس من شك في أنه قضى بعض الوقت للاستراحة بعد السفر الشاق في المفازة ولا يستبعد أن بعض رجاله قاموا بغزوات قصيرة المدى في الأطراف لاغتنام بعض المواشي ، لأن الموسم في أطراف الشام موسم المرعى .

---

(١) الطبري ، الجزء الثاني ص (٦٠٤) .

(٢) وجاء في القاموس (الصخ) الضرب بالحديد على الحديد . وصوت الحجر اذا قُرع وقد يكون المصيخ الأرض الحجرية التي تقرع .

ليس في الروايات ما يشير الى أعمال خالد بين سوى ومرج راهط . ورواية سيف على طولها لم تشر الى عمل له سوى نزوله بالرمانتين والكثيب . والرمانتان اشارة الى تلين منفردين ، ارتفعا في ارض سهلة وأصبحا علماً لمكان وقد ذكرهما الشيخ عبد العزيز العقيلي . والكثب والكثيب تل من الرمل . ولعل خالداً كان يعلم أن الطريق بين تدمر ودمشق غاصة بالحصون ومعاقل الروم ؛ لهذا لم يخاطر في مهاجمتها ، ولعله سعى كثيراً لأن يسلك طريقاً بعيدة عنها ليخفي حركته وبالحقيقة ان المنفذ الشمالي لبلاد الشام يسهل كثيراً سده بوجه القوات القادمة من البادية ، وهو محصور بين سلسلة الرواق والحرة الواقعة الى شرقي دمشق وبحيرتي العتيبة والهيجانة وما يتخللها من المناقع ومن أجل هذا يذهب الظن الى أن خالداً ، في زحفه من سوى الى مرج راهط اتخذ كل الحيطة لاخفاء مسيره محاولاً مباغتة الغسانيين ؛ واذا صحت رواية سيف فانه علم باجتماع الغسانيين في مرج راهط ، لأنه كان قد اعتزم الوصول الى المسلمين من دون ان يحبسه الروم عن نجدتهم .

وفي الخريطة التي أرفقها (بواديرارد) بكتابه (المواقع الرومانية في بادية الشام) حصون ومعاقل على طريق (تدمر — دمشق) من سبع ابيار الى ضمير وذكر المؤلف[1] أنه أقيم خط أمامي ليستر طريق الخانات (الطريق الشمالي التي تمر بسفح سلسلة الرواق بين دمشق وتدمر) جنوبي جبل الرواق على ثلاثين كيلومتراً ، ليسد الجادة الممتدة من الحماد بالاتجاه الشمالي الغربي . ويتألف هذا الخط الأمامي من الطريق المستحكمة لجادة ديوقلتيان في قاطعيه جبل سَيْس ـ سبع أبيار ـ تدمر . وفي هذا الخط حصن (تل التساعي) الواقع الى جنوبي غربي سبع أبيار على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً . ويمكن الوصول الى سبع أبيار مباشرة من ضمير وخان الشامات من دون المرور بسَيْس . ويتبين مما كتبه المؤلف

(١) المواقع الرومانية في بادية الشام (ص ٤٢) .

أن جبل سيْس يقع على الطريق الروماني الأقصر بين بصرى وتدمر وقد استعمله أرباب الرحلات من التجار يوم كانت بصرى وتدمر مدينتين تجاريتين خطيرتين • وفي نقطة جبل سيس بئر وحصن لحراسة البئر • وبين هذا الموقع وموقع سبع أبيار مواقع أخرى فيها تل صناعي وبرج روماني وبركة من العهد الروماني واسم الموقع تل (سَدْشِه) ، ويمر الطريق بعدها بتل التساعي الى سبع أبيار ومنه الى حصن العليانية وحصن الملكية ، ثم يضرب شمالاً الى تدمر •

أما الطريق الأقصر من سبع أبيار الى ضمير فيمر بسفح جبل رواق الجنوبي وفيه أيضاً معاقل وحصون كحصن سَيْجل وحصن خان الشامات وحصن ضمير • وفي أطراف ضمير أقيم سور لحماية أرض المرعى • لقد درس المؤلف هذه المواقع وثبت صورها ورسومها في ملحق كتابه وأثبتها في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام •

ذكر موسل في كتابه « البادية العربية » أن في شرقي مرج راهط (في جوار عذراء) معسكر الرومانيين المستحكم ، الواسع (ضمير العتيقة) •• لم تشر الروايات العربية اليها ولعلها كانت وقتئذٍ خالية أو لعل حاميتها انضمت الى جيش الروم للدفاع عن الباب الأول في بصرى أو فلسطين • وهذا محتمل جداً لأن الفرس كانوا دُحروا في حرب هرقل •• فلم يبق من خطر يهدد بلاد الشام بالهجوم عليها من الشمال الشرقي ، ويلاحظ من جهة أخرى فقدان جنود الروم في الباب الثاني ، وفي مرج راهط اجتمع مرتزقة الغسانيين فقط •

ويتراءى لنا أن خالداً في زحفه من سوى الى مرج راهط تعمد بألا يظهر أمام ضمير العتيقة وسار بعيداً عنها • ويتضح من كل ما ذكرناه انه لا بد لخالد أن يسير بعيداً عن المواقع الرومانية المذكورة خشية الاصطدام بها •

واذا بلغ خالد خبر اجتماع الغسانيين في مرج راهط قبل مسيره من سوى أو في طريقه اليها كان يقتضي أن يتغلب عليهم ليستطيع النفوذ الى الشام لأنه

لا يوجد أمامه طريق آخر دون لقائهم • ذكر ياقوت مرج راهط وقال انه موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء اذا كنت في القصير طالباً لثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك وقال عن مرجه هو أشهر المروج في الشعر • أما عذراء فموقعها ثابت في الخريطة وهي واقعة على طريق دمشق ـ ضمير ـ شمالي شرقي دمشق على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً ، غربي مفترق الطريق الممتد الى ضمير وخان ابي الشامات وطريق نبك ـ حمص •

ويبدو مما كتبه ابن عساكر ان مرج راهط هو مرج عذراء ، ويتبين مما كتبه ياقوت انه في شرقي عذراء • والمسافر من دمشق الى بغداد بالسيارات يرى هذا المرج الواسع على يمينه بعد عذراء • وكانت المروج والمراعي في شرقي دمشق خاصة بالغساسنة وفيها منازلهم وقراهم •

ولعل الروم حين حشدهم الجيوش لمقاتلة المسلمين في فلسطين لم يهتموا كثيراً بالناحية الشمالية والناحية الشرقية لدمشق • لأن الطريق التي تربط العراق بالشام والتي تمر بوادي الفرات وتجتاز بادية تدمر تلقى في وجهها معاقل وحصوناً ومرابط كما قلنا •• لهذا لم يتوقعوا هجوماً من هذه الناحية • واذا سارت قوات المسلمين عليها تصل أخبارهم الى حكام الروم في الشام فيتخذوا الحيطة لسد الطريق بوجه المسلمين • أما طريق البادية من الشرق فلا يمكن أن تسلكها قوة ذات شأن • ويتبين من رواية سيف بن عمر أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر بينما الروايات الأخرى جميعها تشير الى قتال خالد للغسانيين في مرج راهط • أما موقع مرج الصفر فلم نتثبت منه بالضبط ، ذكره ياقوت وقال انه بين دمشق والجولان صحراء كبير • ويلوح لنا انه واقع الى جنوبي دمشق الى الغرب أو الى الشرق منها • لقد انتصر فيه العرب على الروم بعد معركة أجنادين في مسيرهم نحو دمشق وهو بلا شك مرعى للغسانيين ، وعلى ما يظهر انه مرعى كبير • ويبدو أن الغساسنة كانوا نازلين فيه مع عيالاتهم للرعي به

ولعل بعضهم كان في مرج راهط يرعى ماشيته ويراقب طريق الصحراء . فلما بلغهم خروج خالد الى سوى أخبروا الروم بذلك وطاب هؤلاء اليهم أن يمنعوا القادمين من الدخول الى أرض الشام . فأسرع من كان في مرج الصفر الى مرج راهط واجتمعوا فيه لحماية مواشيهم وصد المسلمين . يستنتج ذلك من انسحابهم الى مرج الصفر بعد هزيمتهم في مرج راهط .

وبعد فليس في الأخبار ما يشير الى وقت اغارة خالد على الغسانيين والى صورتها. وبما ان أسلوب خالد في أكثر حروبه المباغتة ، يتراءى لنا أنه باغت الغسانيين في مراعهم وقت الصبح والاشارة الى ثنية العقاب في رواية الواقدي وروايات أخرى تخالف ما ذكرنا . ويؤخذ من رواية الواقدي أن خالداً وصل الى ثنية العقاب بعد اغارته على بني غسان . وهذا لا يتأتى لأن غوطة دمشق تبدأ بعد عذراء وليس فيها ثنية ، والثنية في اللغة طريق العقبة . والثنية التي صار اليها خالد وركز فيها رايته ينبغي أن تكون في نهاية الجبل الذي يمتد من الشرق الى الغرب في شمال ضمير ويطل منتهى الجبل المذكور على مرج عذراء وغوطة دمشق . وتمر بقربه الطريق بين دمشق وحمص ، بعد أن يتسلق الجبل ويتضح مما أورده ابن الأثير ان خالداً وصل ثنية العقاب بعد مصالحته لبني مشجعة في قصم ، ثم سار الى مرج راهط . ويستدل من ذلك انه بطريقه من حوارين الى دمشق مر بقصم . والطريق من النبك الى دمشق تمر بأراض جبلية وقبل أن تصل الى السهل الذي فيه مرج راهط تتسلق الجبل وتهبط منه الى السهل ، والثنية هذه في هذا الجبل كما بينا . واذا كان خالد قدم من سوى الى مرج راهط لمباغتة الغسانيين لماذا يعرج الى الجبال ويرفع رايته فوق الثنية ويكشف عن محله ؟ هل علم أنه لا يقدر على مباغتة الغسانيين اذا قدم من البادية ، لأن عيون عدوه كانت تترقبه ، لهذا عرج بعد ضمير الى الجبل وأغار على الغسانيين من الشمال بعد أن أخفى حركته في الأرض المتموجة ؟ أم أن حادثة الثنية وقعت بعد فتح دمشق ؟

ويظهر من رواية سيف أن خالداً أغار على الغسانيين في مرج الصفر وكان عليهم الحارث بن الأيهم ولم يشر سيف في روايته الى قتال وقع في مرج راهط على حين أجمع الرواة على وقوع هذا القتال . ويتضح من هذا أن راويه احتفظ بذكريات قتال مرج الصفر الرئيسي وأهمل قتال مرج راهط الثانوي . واذا كانت عيالات الغسانيين وماشيتهم في مرج الصفر ، كان ينبغي لهم بعد هزيمتهم في مرج راهط أن يسرعوا الى مرج الصفر للدفاع عن عيالاتهم وماشيتهم . وفي هذه الحالة لا بد ان خالداً لم يمهلهم ، بل طاردهم الى مرج الصفر ـ والمسافة بينهما على ما يبدو قصيرة ـ فهزمهم شر هزيمة ثم توجه الى بصرى . ليس في الروايات ما يشير الى عمل قام به خالد في طريقه الى بصرى . ويبدو من ذلك أنه بعد أن ظهر في أطراف عاد فأضاع أثره وظهر من جديد أمام بصرى .

أما الأخبار التي تروي اغارة خالد على قرى الغوطة ونزوله على أحد ابواب دمشق واعطائه عهداً لأسقفها وغير ذلك فيصعب تصديقها . ومع هذا فان مالمدينة دمشق من شهرة ومكانة قد بعثت أطماع خالد فجذبته الى المدينة .. لهذا جاز لنا أن نزعم ان رجاله أغاروا في طريقهم على بعض قرى الغوطة وان خالداً مرّ بباب دمشق مر الخاطف .

الخلاصة :

والذي يتلخص من بحثنا هذا ان خالداً بعد استلامه أمر ابي بكر بالشخوص الى الشام ، قرّر المسير اليها بطريق دومة الجندل ، فترك الحيرة بعد منتصف شهر آذار سنة ٦٣٤ فبلغ دومة الجندل وبدلاً من أن يسير على طريق وادي السر تقدم من الشمال محاذياً للوادي حتى وصل قراقر ومنها اعتزم اجتياز المفازة بين قراقر وسوى ، ثم تقدم رأساً الى مرج راهط فهزم الغسانيين في عيد فصحهم في ٢٤ نيسان سنة ٦٣٤ ثم تقدم مسرعاً الى بصرى .

وبهذه المناسبة ننشر فيما يلي ما كتبه الجنرال جلوب قائد الجيش العربي في الأردن في كتابه «قصة الكتيبة العربية» :

«وبينما كانت الجيوش العربية تقاتل الروم في السهول الفارسية (العراق) كان خالد بن الوليد يغزو مسالح الامبراطورية الفارسية . ولما ورد اليه أمر الخليفة يلح عليه بالكف عن حرب فارس ويطلب اليه الاسراع لنجدة جيش المسلمين امام دمشق ، وكان خالد قد فتح مدينتين من مدن العراق . وكان خالد على بعد خمسمائة ميل عن زملائه في الشام ، تفرقهم بادية الشام التي لم يقطعها جيش في الحرب قبلاً ، ماعدا مرة واحدة (يقصد بها حركة الكتيبة العربية من شرقي الأردن الى العراق في حوادث سنة ١٩٤١) ترك خالد العراق حالاً وسار عبر الصحراء الى واحة دومة الجندل (تدعى الآن الجوف) ومنها فتح وادي سرحان بوجهه الطريق الى الشام ، والوادي بطن طويل حافل بالآبار طالما قطعته القوافل . وكانت الحصون الرومية تسيطر على منتهاه الشمالي . وبعد ان استقى خالد الماء من قراقر دلف الى الشرق وتوغل في البادية بعيداً عن أنظار حاميات الروم في الشام . وبينما كان جيش الروم يقاتل العرب في السهول الواقعة الى جنوبي دمشق ظهر خالد من البادية بغتةً وراء ظهرهم . وكانت هذه الحركة السريعة فوق طاقة جنود الروم المجهزين بالسلاح الثقيل . لهذا بعث الروم مناصريهم العرب ، الأمراء الغسانيين لطرد خالد من خطوط مواصلاتهم ، ولكن بني غسان منوا بهزيمة منكرة شرقي دمشق على بعد خمسين ميلاً .

دلف خالد البادية وأضاع أثره للمرة الثانية وبعد أن التف وراء جبل الدروز ، انضم الى جيش المسلمين في السهول الممتدة جنوبي دمشق [١] » .

بغداد : طه الهاشمي

(١) The Story of Arab Legion (ص ٢٥) وما بعدها .

